الدكتور
خالد السيوطى

المهتدون إلى الإسلام

من قساوسة النصارى وأحبار اليهود
حتى القرن التاسع الهجرى

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن ظاهرة الاهتداء الدينى لدى علماء اليهودية والنصرانية من الظواهر الطبيعية فى تاريخ الإسلام، ومن الصعب الإحاطة بعدد هؤلاء الذين أنار الله قلوبهم للإسلام نظراً لكثرة عددهم. ومن ثَم تحاول هذا الدراسة التركيز على العلماء الذين تركوا لنا مصنفات جدلية حاولوا من خلالها الإجابة على سؤالين مهمين: .

س: ما الذى دفعهم إلى ترك ديانتهم السابقة؟

س: وما الذى جعلهم يدخلون الإسلام؟

وقد اكتفيت بتتبع العلماء الذين دخلوا فى الإسلام منذ ظهوره حتى القرن التاسع الهجرى مع العلم أن كثيراً منهم لم تصلنا مؤلفاتهم.

وقد اخترت هذا الموضوع الشيق لعدة أسباب من أهمها:

١ - استشهد القرآن الكريم فى كثير من آياته بالمهتدين من علماء أهل الكتاب. وسجل عن الراسخين في العلم منهم أنهم على علم عظيم بالنبي ﷺ فيقول عز من قائل: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة آية: ١٤٦]. وكان في هداية هذه الفئة المؤمنة تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف: آية ١٥٧].

٢ - وجه القرآن الكريم النبى ﷺ أن يستشهد بالمهتدين من علماء أهل الكتاب عندما يجادل غير المهتدين منهم، فيقول تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد آية: ٤٣]. وقد استشهد النبى

ﷺ وصحابته بالمهتدين من علماء أهل الكتاب؛ مثل عبد الله بن سلام، الذى أفحم اليهود باعترافه بصدق محمد ﷺ .

٣ – كان علماء اليهودية والنصرانية من أكثر الناس شوقاً، وترقباً للبعثة المحمدية، حتى أننا نعتبر أن رجلاً مثل ورقة بن نوفل اهتدى للإسلام قبل إعلان الرسول ﷺ عن نبوته . وقد مهد إعلان أحبار اليهود قرب البعثة المحمدية الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية بعد البعثة، وتهيئة النفوس لتقبلها .

وأحسب أن مثل هذه الأسباب كفيلة لأى باحث أن تدعوه لدراسة مؤلفات أعلام المهتدين الجدلية، لما فى ذلك من فوائد علمية كبيرة؛ ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية :

١ – تتبع هذه الظاهرة، ومعرفة عوامل الجذب الإسلامى لها، والأسباب التى ساعدتهم على اختيار هذا الموقف العقائدى المتميز، ودفعت بهم للهداية إلى الإسلام .

٢ – التعرف على دوافع المهتدين من وراء وضع مؤلفاتهم الجدلية المتميزة فى تاريخ الديانات .

٣ – التعرف على مدى الإضافة العلمية التى أسهمت بها مؤلفات المهتدين فى حقل الجدل الدينى، ومدى المساهمة التى أضافتها مؤلفاتهم للتراث الإسلامى .

٤ – الكشف عن مدى الآثار العلمية لمؤلفات المهتدين، ومدى الاهتمام الكبير الذى أولاه أعلام الفكر الإسلامى قديماً بهذه المؤلفات ومن ثم توجيه ولفت أنظار القراء والباحثين إلى هذه المؤلفات .

٥ – الكشف عن أسباب تفوق المهتدين جدلياً، والدور الذى أفاده تنوع ثقافتهم فى تحقيق هذا التفوق الجدلى .

* * *

الفصل الأول

حركة الهداية للإسلام لدى علماء أهل الكتاب

إن ظاهرة إسلام علماء أهل الكتاب ليست بالظاهرة الغريبة، أو الفذة فى تاريخ الأديان، فالعلماءهم أقدر الناس على تمحيص العقائد، وتمييز زائفها من صحيحها، وحقها من باطلها، وهى ظاهرة قديمة حديثة.

وإذا كان العامى من أهل الكتاب تعرض عليه عقائده على أنها أسرار واجبة التسليم، فإن الحبر من أهل الكتاب يفهم هذه الأسرار جيداً، أو يفترض فيه ذلك، ومن ثم يستطيع الحكم:

هل هى أسرار أم أوهام؟.

ولذلك فقد كان لعلماء اليهود والنصارى دوافع متميزة عند الهداية إلى الإسلام.

أولاً: دوافع الهداية للإسلام لدى علماء أهل الكتاب.

حين يدرس المؤرخ حركات الهداية إلى الإسلام غالباً ما يتعرض لقضايا انتشار الإسلام بالسيف أو الجزية، ومدى تأثير هذين العاملين على انتشار الإسلام.

وسبق أن أشرنا إلى أن الهداية للإسلام لدى علماء اليهود والنصارى لها دوافعها وأسبابها الخاصة، التى فيما أرى أنها تختلف إلى حد ما عن هداية العوام من هاتين الطائفتين، ومن ثم لن نتعرض فى هذه الدراسة المهتمة بالعقائد قبل أى شىء لأكذوبة انتشار الإسلام بالسيف، وإن كنا نشير إلى حقيقة ربما خفت عن المتخصصين فى التاريخ الإسلامى من المسلمين، وهى أن كثيراً من الأنبياء المذكورين فى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى قد استعملوا السيف؛ مثل داود، وسليمان، وموسى، وهو ما يؤكده أحد علماء النصرانية الذين هداهم الله

إلى الإسلام بقوله: «المسيح عليه السلام – قد رخص بآخره فى اتخاذ السيوف، ونسخ به الأمر الأول، وذلك فى قوله لتلاميذه: «ليبع كل أمرىء منكم ثوبه، وليشتر لنفسه سيفاً»[١] وفى قول المسيح أيضاً: «لا تظنوا أنى جئت لأزرع سلما بل حرباً»[٢].

ومن ثم فليس سيدنا محمد ﷺ بدعاً من الرسل فى اضطراره لاستعمال السيف، بل إن كثيراً من البشارات المذكورة فى كتابهم الذى يقدسونه تصف النبى المنتظر وأمته باستخدام السيف، ولا يخفى أن المسلمين استخدموا السيف للدفاع عن أنفسهم، وعن عقيدتهم مما يدعونا إلى ضرورة التفرقة بين مجرد استخدام السيف، والانتشار بالسيف فيقول عز من قائل: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة آية: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ [البقرة آية: ١٩٠].

والحق أن انتشار النصرانية هو الذى كان بالسيف، فقد كان الذبح، وتقطيع الأيدى والأرجل، وغير ذلك من نفى وتشريد من وسائل نشر المسيحية، وعقاب الذين يرفضونها[٣]. ومحاكم التفتيش فى الأندلس خير دليل على ذلك؛ حيث لم يكن أمام المسلم فى الأندلس إلا أحد أمور ثلاثة: أن يتنصر – أو يهرب بدينه – أو يقتل[٤].

أما بالنسبة لقضية الجزية فهى أبعد ما تكون عن هداية عالم كتابى، فلا تستحق أن نتعرض لها؛ لأنها كانت مكسباً لليهود والنصارى، كما أن المسيح حين اختبره اليهود ببيان موقفه من الجزية أقرها طالما أنهم يجيزون التعامل بعملة

---

(١) علي بن ربن الطبرى «الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى محمد ﷺ» تحقيق عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة – بيروت ط(٢ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) الدين والدولة ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) الدعوة إلى الإسلام: توماس ارنولد – مكتبة النهضة المصرية ط ٣ ص ٢١، ٢٢.

(٤) انظر كتابنا «الجدل الدينى بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس».

الدولة[١]. «فعلم يسوع خبثهم، وقال لماذا تجربوننى يامراؤون، أرونى معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له لقيصر، فقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[٢].

وأصح الأقوال فى تعليل الجزية «أنها بدل عن اشتراك غير المسلمين فى الدفاع عن دار الإسلام؛ لذلك أسقطها الصحابة والتابعون عمن قبل منهم الاشتراك فى الدفاع عنها»[٣] ولذلك كان المسلم يدفع الجزية كالكتابى تماما إذا لم يشترك فى الجهاد مع المسلمين[٤].

والحقيقة أن من يريد الدخول فى الإسلام؛ لإسقاط الجزية سيقابل بفريضة الزكاة، وهى أكبر من الجزية التى كانت مبلغاً زهيداً جداً. وشهدت بعض العصور الإسلامية عدم إسقاط الجزية عن الكتابى حتى لو أسلم[٥].

وغنى عن البيان أن أموال الجزية كانت تستخدم فيما يعرف فى عصرنا الحديث ببناء البنية الأساسية العائدة بالفائدة على المسملين وأهل الكتاب معاً. كما أن الحاكم المسلم مسئول عن إعالة غير المقتدر من أهل الكتاب من بيت مال المسلمين.

مما نسبق يتضح أن ما يثار حول السيف والجزية لم يكن له أدنى أثر فى هداية عوام أهل الكتاب فضلاً عن علمائهم، فمثلاً رأي هؤلاء المهتدون أن استخدام الرسول ﷺ هو وأمته للسيف من أكبر الدلائل على نبوته طبقاً لبشارات كتابهم الذى يقدسونه. وبالنسبة للجزية سنرى أن كثيراً من علماء أهل الكتاب رفضوا دخول الإسلام رغم معرفتهم بأحقيته خوفاً على مناصبهم

---

(١) عبقرية المسيح: عباس العقاد – المكتبة العصرية – بيروت ط٣ ص ٥٧.

(٢) متى صح ٢٢ عدد ١٨: ٢٢.

(٣) الأقباط والإسلام حوار ١٩٨٧م: ومحمد سليم العواء – دار الشروق ص ٣٩.

(٤) الدعوة إلى الإسلام ص ٥٩.

(٥) وإن كان هذا مخالفا لروح الإسلام، ولذلك رفض هذا الاتجاه الحكام العادلون مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

الدينية، ومكاسبهم المادية، بل منهم من كان يظن أنه لو أسلم لتعرض للكفاف والهلاك.

وسنعود بعد قليل لقضية الجزية مضطرين عند مناقشتنا لموقف أحد المستشرقين حول أسباب هداية سعيد بن الحسن الإسكندرانى، والحق أنه كان من أهم دوافع إسلام هؤلاء العلماء هو صدق العقيدة الإسلامية وسهولتها، وخلوها من التناقض المنطقى العقلى، ولا شك أن الجدل الدينى الداخلى الدائر بين أهل الكتاب بمذاهبهم المختلفة كان من أسباب نفور علمائهم وهروبهم إلى الإسلام[1]، كما كان لحسن أخلاق المسلمين وعلمائهم فى مقابل فساد الكهنة فى المذابح، والبيع وغيرها عاملا مهمًّا فى الهداية للإسلام.

وكان لوجود صفة النبى ﷺ وأمته فى البشارات الكتابية التى لم تصل إليها يد التحريف عاملاً كبيراً فى هداية هؤلاء العلماء، وهذا الجدل الدينى بين المسلمين وأهل الكتاب كان له أهمية كبرى فى حركة الاهتداء الدينى بين المنصفين من علمائهم، أو على الأقل تكوين رأى أكثر إنصافاً عن الدين الإسلامى[2].

تلك هى أهم عوامل هداية علماء اليهود والنصارى للإسلام، وهو ما يدعونا لمعرفة موقف علماء أهل الكتاب من الإسلام؛ ليتبين لنا بصورة أوضح دوافع قبولهم أورفضهم للإسلام.

ثانياً: موقف علماء اليهود والنصارى من الإسلام:

اختلف علماء أهل الكتاب من حيث موقفهم العقائدى من الإسلام باختلاف نفسياتهم وميولهم، وأطماعهم... إلخ.

وفيما أرى أن علماءهم ينقسمون فى الأغلب الأعم إلى أربعة أقسام من حيث موقفهم من الإسلام:

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٦٦.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٨٢.

١ - قسم هداه الله إلى الإسلام بعد النظر، والتدبر، ونفض غبار التقليد، ومن أمثلة هذا القسم هؤلاء العلماء المهتدون الذين بصدد دراسة مناهجهم الجدلية.

٢ - قسم ثان لم يقتنع بما هو عليه وعرف صحة الإسلام، ولكن لم يهتد للإسلام ربما لكراهية خاصة للإسلام والمسلمين، أو لطبيعة نفسية معينة تناسبها أحكام دينه، ولا تناسبها أحكام الإسلام.

وقد أبان النبى ﷺ لحبرين دعاهما للإسلام أن سبب رفضهما للإسلام دعاؤهما لله - عز وجل - ولدا، وعبادتهما الصليب، وأكلهما الخنزير(١) وكل هذا تحرمه الشريعة الإسلامية.

ومن أمثلة هذا الصنف كذلك ما جاء فى سيرة ابن هشام عن صفية بنت حيى بن أخطب من أن عمها سأل أبيها بعد عودتهما من عند الرسول ﷺ حين قدم المدينة: «أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفته وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما فى نفسك منه. قال: عداوته والله ما بقيت»(٢).

ومن هذا القسم أيضاً من لم يدخل الإسلام خوفاً على مكانته الدينية والاجتماعية المرموقة لدى قومه، أو خوفاً على مكاسبه المادية التى سيفقدها بإسلامه، ونزل فى ذلك: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [البقرة آية: ١٧٤].

وقد نزلت هذه الآية فى رؤساء اليهود وعلمائهم، فقد كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا، ويبشرونهم بنبى منهم، فلما بعث الرسول ﷺ خافوا على ضياع مكانتهم، وزوال رياستهم، فغيروا صفة النبى الموجودة بكتبهم حتى لا تشبه صفة النبى ﷺ ومن ثم تبقى رياستهم الزائفة(٣).

---

(١) تفسير الطبرى «جامع البيان عن تأويل آى القرآن». أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمود شاعر ط دار المعارف جـ٦ ص ١٥٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ط دار التوفيقية جـ٢ ص ١٠٣.

(٣) أسباب النزول: للنيسابورى أبو الحسن على بن أحمد - مكتبة المتنبى ص ٢٧

وقد أشار ابن تيمية إلى هذا الصنف بقوله: «كان عامة رؤسائهم من القسيسين، والرهبان، وما يدخل فيهم من البطارقة، والمطارنة، والأساقفة إذا صار الرجل منهم فاضلاً مميزاً فإنه ينحل عن دينه»(١). أما الباقي فإنه يظهر التمسك بالنصرانية خوفا على منصبه «كالذى كان لبيت المقدس الذى يقال له ابن البورى، والذى كان بدمشق الذى يقال له ابن القف، والذى بقسطنطينية، وهو البابا عندهم، وخلق كثير من كبار الباباوات والمطارنة والأساقفة لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقروا بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى، وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة، كبقاء الملوك والأغنياء على ملكهم وغناهم»(٢).

ولعل النقاش التالى الذى دار بين رجل يدعى أبو حارثة وأخيه الذى يعرف بكرز بن علقمة يكشف أكثر عن هذا الصنف، حيث عثرت بغلة أبى حارثة وهو فى طريقه للرسول ﷺ فقال أخوه: «تعس الأبعد. يريد رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست.

فقال: ولمَ ياأخى؟.

قال: والله إنه للنبى الذى كنا ننتظر.

فقال كرز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟!

قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبو إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا مناكل ما ترى(٣)» وكان كلام أبى حارثة سبباً فى إسلام أخيه بعد ذلك. ويقول إسرائيل بن شموائيل الأورشليمى عن هذا القسم من أحبار اليهود: «وبعض منهم عارفون الحق، ولكنهم مربوطون فى وظائفهم الدينية،

---

(١) مجموعة الفتاوى: ابن تيمية - دار الوفاء ط٢ - ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م جـ٢٨ ص ٣٣١.

(٢) مجموعة الفتاوى جـ٢٨ ص ٣٣١.

(٣) السيرة النبوية جـ٢ ص ١٥٢.

والأموال، والأولاد، والعيال»(١). ويؤكد ابن قيم الجوزية كلام إسرائيل قائلاً: «وقد ناظرنا جماعة منهم، فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا: لو دخلنا في الإسلام لكنا من أقل الناس لا يؤبه لنا، ونحن متحكمون في أهل ملتنا ومناصبهم، ولنا بينهم أعظم جاه»(٢).

٣ – ويوجد قسم ثالث أسلم ولكنه أخفى إسلامه، وربما أظهر إسلامه بعد فترة، أو بتشهده قبل الموت مباشرة، وهذا القسم ليس بالقليل، فعلى سبيل المثال لا الحصر النجاشي ملك الحبشة الذى يقول عنه ابن قيم الجوزية: «إنه أسلم سراً، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته، ولا يمكنه مجاهرتهم»(٣). ومن أمثلة هذا القسم القسيس الذى كان أستاذاً لعبد الله الترجمان، وترجع قصة هداية عبد الله الترجمان إلى هذا الأستاذ، حيث كان عبد الله الترجمان مقرباً إلى أستاذه بحيث كان لا يدخل عليه سواه نظراً لكبر سن هذا القسيس وكان يدعى نقلاد مرتيل وكان يسأل عبد الله عن ما يدور من نقاشات بين القساوسة وفى ذات مرة سأل هذا الأستاذ تلميذه المقرب عن ما دار من نقاش بين القساوسة فأخبره الترجمان أنهم كانوا يتناقشون حول معنى كلمة «البارقليط». وهنا ذكر هذا القسيس أن الخلاف الذى دار بين القساوسة حول معنى كلمة «البارقليط» لم يصل فيه هؤلاء القساوسة إلى المعنى الحقيقى للكلمة؛ لأن هذا علم عظيم، فأخذ يلح عبد الله الترجمان على أستاذه لمعرفة معنى هذه الكلمة ولكن نقلاد مرتيل تردد فى الإجابة فذكَّره الترجمان أنه كان نعم الخادم الأمين سنين طويلة، ولا أقل من أن يخبره بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة فاضطر أن يذكر للترجمان أن

---

(١) الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية: إسرائيل بن شموائيل الاورشليمى، وتوجد هذه الرسالة بعد بذل المجهود فى إفحام اليهود تحقيق محمد أحمد الشامى – مكتبة الجهاد الكبرى ص ٧٦.

(٢) هداية الحيارى فى أجوبه اليهود والنصارى: ابن قيم الجوزية – المكتبة القيمة ط ٤ سنة ١٤٠٧ هـ ص ٧٢، ووضع المحقق أحمد حجاز السقا نقطة «لا يابه» فغيرتها إلى «لا يؤبه» حتى يستقيم المعنى.

(٣) هداية الحيارى ص ٦٤.

كلمة « بارقليط » المقصود بها محمد ﷺ وأنها بشارة بمجيئه . وأنه على الدين الحقيقى الذى جاء به عيسى عليه السلام فسأله الترجمان عن موقفه من دين النصارى فقال : « يا ولدى لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله »[١] وكان طبيعياً أن يسأل الترجمان أستاذه عن عدم إعلان إسلامه فاخبره أنه شيخ كبير ويجد كل التكريم بين النصارى ولو أعلن إسلامه لكان بين المسلمين كأقل شخص . وأعطى هذا الأستاذ تلميذه مالاً لكى ينتقل من بانوليه إلى بلاد المسلمين فى المغرب، وبالفعل سافر الترجمان إلى المغرب العربى، وفى الطريق كان ينتقل بين الكنائس دون أن يعلن إسلامه؛ حيث وجد كل تكريم من الرهبان والقساوسة بوصفه عالماً من علمائهم . وحين وصل الترجمان إلى بلاد المسلمين أعلن إسلامه[٢] .

٤ ـ أما القسم الرابع والأخير فقد يحن أصحابه إلى الإلف والعادة، فلم يسمحوا لعقو لهم بالنظر والمقارنة، وإذا حدث وساورهم الشك فيما هم عليه فإنهم يسارعون بإبعاد هذه الأفكار عن أنفسهم، وإغلاق عقولهم .

ووصف إسرائيل بن شموائيل هذا النوع بأنهم ملعونون طبقاً لأحكام توراتهم « وبعضهم مغفلون تحت هذه اللعنات المذكورة التى يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم لا محالة »[٣] .

وهناك ظاهرة مرتبطة بعصور القوة عند المسلمين بشكل أوضح وهى إسلام

---

(١) تحفة الأريب : عبد الله الترجمان تحقيق د . محمود حماية . دار الثقافة ط ١ سنة ١٩٨٣ ص ٣٤ .

(٢) الطريف أنه بعد أن وصل الترجمان إلى بلاد المغرب معلنا إسلامه ارسل إليه احد أصدقائه خطابا يدعوه إلى العودة إلى بلاده وترك الإسلام . ولكن الخطاب وقع فى يد حاكم المسلمين فاعطاه الحاكم للترجمان ولم يذكر له أنه عرف مضمون الخطاب ليختبر مدى صدق عقيدة الترجمان . وبعد أن قرأ الترجمان الخطاب ذكر للحاكم مضمونه فسأله الحاكم عن أفضل تصرف فقال الترجمان نرسل لهذا الرجل أننى ندمت على إسلامى فيرسل سفينة لعودتى وبعد ذلك نستولى على هذه السفينة . ونجحت الحيلة لأن الحرب خدعه .

(٣) الرسالة السبعية ص ٧٦ .

علمـاء أهل الكتـاب ظاهرياً ثم الارتداد عن الإسـلام بعـد ذلك بهـدف تقـويض دعـائم الإسـلام، وسـحب الثـقـة منه لدى المسلمين، وقـد كـشف الله هؤلاء: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ونزلت هذه الآية في اثنى عشر حبرا يهودياً «قال بعضـهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار، وقولوا إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا إنهم أهل كتاب، وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم»[1].

ولعل أخطر نتائج حركة النفاق في فترة مبكرة من تاريخ المسلمين هو ظهور فرقة السبئية وهم «أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى كرم الله وجهه: أنت أنت، يعنى أنت الإله»[2]. ويعتبر عبد الله بن سبأ من أخطر اليهود الذين أسلموا نفاقاً، فقد بث سموماً خطيرة بين المسلمين، وكان من مزاعمه في على ابن أبى طالب أنه لم يمت؛ حيث فيه الجزء الإلهى، وأنه يأتى في السحاب وسينزل إلى الأرض ليملأها عدلاً بعد ما ملئت جوراً، وطورت فرقته أفكاره الهدامة، فقالت بتناسخ الجزء الإلهى في الأئمة بعد على كرم الله وجهه[3]. ومحاولات عبد الله بن سبأ في الإسلام تذكرنا بمحاولات بولس في المسيحية فكلاهما ادعى ألوهية الانسان.

بعد تقسيمنا السابق الذى بينا فيه موقف علماء اليهود والنصارى من الإسلام يجدر بنا أن ننظر نظرة تاريخية مختصرة لحركة الاهتداء الدينى لدى علماء أهل الكتاب.

---

(١) أسباب النزول ص ٦٣.
(٢) الملل والنحل: للشهر ستانى – ط الحلبى وشركاه – ح١ – ص ١٧٤.
(٣) الملل والنحل ص ١٧٤.

ثالثاً: رؤية تاريخية لحركة الاهتداء الديني لدى علماء أهل الكتاب:

تمتد الجذور التاريخية لحركة الاهتداء الديني لدى علماء اليهودية والنصرانية لما قبل الإسلام، فكان من إرهاصات النبوة ما كان يردده اليهود للمشركين: «إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم»[1].

وكان علماء أهل الكتاب من أكثر المتشوقين لبعثة النبي ﷺ وإن تباينت مواقفهم بعد البعثة، فهذا بحيرا الراهب تعرف على رسول الله ﷺ وهو غض صغير، وأكرم ركب قريش لأجله، وحذر عم النبي – أبا طالب – من اليهود على ابن أخيه.

وكان ورقة بن نوفل يستبطئ بعثة النبي ﷺ – بعد أن تعرف عليه، وقال في ذلك شعراً منه[2]:

لججت وكنت في الذكر لجوجا	لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف	فقال طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا	ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا	ويلقى من يسالمه فلوجا

كما قال ورقة للنبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنه ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه..»[3].

---

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣.
(٢) السيرة النبوية ج١ ص ١٩٧ – ١٩٩.
(٣) السيرة النبوية ج١ ص ٢٤٧.

ومما سبق أرى أن ورقة بن نوفل آمن بالنبى ﷺ قبل البعثة، أما أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فيعتبر أول من آمن من الرجال بالرسول بعد البعثة.

وفى العهد النبوى استمر الاهتداء للإسلام لدى علماء أهل الكتاب قوياً، فمثلاً حين بعث النجاشى ملك الحبشة سبعين من القسيسين للنبى - ﷺ - فتلا عليهم سورة «يس» أسلموا جميعاً، وفيهم نزل ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** ﴾ [سورة القصص: ٥٢، ٥٣].

والحق أنه كان لسلطان القرآن الكريم أعظم الأثر فى نفوس المهتدين من علماء أهل الكتاب، وحركة الاهتداء الدينى لدينهم، فكان أحبار اليهود ورهبان النصارى يختبرون ما جاء به القرآن، فيجدونه موافقا لما كانوا يعتقدونه من الحق[١]. من ذلك ما ورد أن سيدنا عمر بن الخطاب تشهد أمامه أحد بطارقة الروم بعد أن سمع أحد أسرى المسلمين يتلو قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [سورة النور : ٥٢]. وبتأمل البطريق هذه الآية وجد أن الله: «جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة»[٢].

وكان يوجد طوائف على المسيحية الحقة حتى مجىء الإسلام، مثل طبقة الآريوسيين - أصحاب آريوس وطبقة الشهر يغان، أو ملاك الأراضى التى كانت موجودة بفارس فى القرن الثانى عشر الهجرى، وكانت تعتقد فى المسيح عليه السلام أنه نبى كسائر الأنبياء[٣]. وهذه الفئات تعتبر مسلمة حتى مجىء

---

(١) الأجوبة الفاخرة القرافى - مكتبة وهبة - ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ سنة ١٩٨٧ م ص ٧٩.

(٢) الاعلام بما فى دين اليهود والنصارى : للقرطبى - دار التراث العربى دون تاريخ ص ٣٣٠. أشهر المهتدين المعاصرين الذين اهتدوا بسماع آى الذكر الحكيم القس إبراهيم خليل أحمد «فيلبس قبل الإسلام»، وأسلم حين سمع قوله تعالى: ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إن سمعنا قرآنا عجبا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾.

الإسلام، فيقول عن أمثالهم ابن تيمية: «وكل من كان من أتباع المسيح، غير مبدل لشئ من دينه قبل النسخ فإنه من المؤمنين المسلمين المهتدين، وهم من أولياء الله المتقين من أهل الجنة»[1]. ولا شك أن دخول أمثال هذه الطوائف فى الإسلام كان سهلا؛ حيث إن خلاف النصارى مع الإسلام كان لسببين: فى ادعائهم المسيح إلها، وتكذيبهم سيدنا محمد ﷺ وهذه الطوائف لا تقول فى المسيح بالألوهية وإنما النبوة، وينقصها فقط تصديق سيدنا محمد ﷺ.

وإذا انتقلنا إلى اليهود تقابلنا طائفة القرائين التى اهتدى أكثرها إلى الإسلام، لسلامتهم من تشدد أحبار الربانيين[2] «طائفة يهودية أخرى» والحق أن الناظر فى التاريخ يجد أن هداية علماء أهل الكتاب للإسلام كانت إيجابية دائماً، وتمثل كثرة فى أغلب العصور، وهو ما يؤكده المستشرق توماس أرنولد «وقد انتهت إلينا أخبار عن طوائف كبيرة من الناس تحولوا إلى الإسلام ، ولم يكونوا من بسطاء عامتهم فحسب، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم، ومناصبهم، وحالاتهم»[3].

ومنذ اتساع رقعة العالم الإسلامى، ويشهد الإسلام دخول أهل الكتاب، وعلمائهم فى دين الله أفواجا، وينقل صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام رسالة ترجع إلى القرن الأول الهجرى، بعث بها أحد بطارقة النصارى إلى رئيس أساقفة فارس تدل على مدى الانتشار الواسع للإسلام بين قساوسة النصارى؛ حيث يقول متحسراً عليهم: «سيقوا إلى الفناء، ولم ينج إلا قسيسان – قسيسان بالاسم على الأقل – من نار الكفر المحرقة»[4]. وإن كان تدوين ما يتعلق بمثل هذا التحول للإسلام نادراً، ويحاول المؤرخون النصارى أن يشيروا إلى فساد الخلق الذى كان سبباً فى هذا التحول من قبل رؤسائهم إلى الإسلام، وكلها اتهامات خادعة

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢١٧.
(٢) بذل المجهود ص ٦٠.
(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٤١.
(٤) الدعوة إلى الإسلام ص ٧٥.

ومكشوفة؛ حيث يذكر مؤرخوهم ما يشبهها تماما حين يتحول من كان من مذهبهم إلى مذهب آخر داخل النصرانية[1]، لأن دارس النصرانية سيعرف أنها مجموعة عقائد مختلفة فيما بينها منقسمة على نفسها. ومثل هذه الاتهامات تنقلنا لبيان موقف أحد المستشرقين من هداية سعيد بن الحسن الإسكندرى.

رابعاً: موقف المستشرق (سيدنى) من هداية سعيد الإسكندرانى:

اعتنى المستشرق سيدنى آدمزوستون S.A.Wiston بكتيب« مسالك التظرفى نبوة سيد البشر» لسعيد بن الحسن الإسكندرانى، ومثل معظم المستشرقين المتعسفين فى أحكامهم المتسرعة حاول هذا المستشرق إيجاد تفسير متكلف لهداية سعيد الإسكندرانى إلى الإسلام، فذكر أن إسلام سعيد يرجع إلى ما يلى:

١ - كون سعيد يطمع أن يكون مجدد الدين فى القرن الثامن الهجرى.

٢ - كان إسلام سعيد هربا من تعصب المسلمين علماء وأمراء وعامة.

٣ - هروب سعيد من الجزية التى كان يدفعها اليهود والنصارى.

٤ - شهد عصر سعيد موجة أو هوجة من الدخول فى الإسلام، وعلى الأخص القائد المغولى القازان بن أرجون خان وحفيد هولاكو، فكأن سعيد أراد بإسلامه أن يركب الموجة، ويكون له نصيب منها[2]. وحين نناقش دعاوى (سيدنى) نجد محاولته ربط إسلام سعيد ببداية القرن الثامن الهجرى، وما كان يطمح إليه سعيد بأن يصبح مجدداً للدين فى هذا القرن، يرجع إلى عدم فهم (سيدنى) للغة العربية، ومجازها، فالقرن فى اللغة لا يعنى فقط مائة سنة حتى يربط إسلام سعيد بالقرن الثامن الهجرى؛ فورد فى مختار الصحاح أن القرن ثمانون سنة، وقيل ثلاثون، كما يستخدم القرن بمعنى الجيل، أو أهل الزمان الواحد. قال الشاعر:

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٧٩.

(٢) مقدمة مسالك النظر: لسعيد بن الحسن الإسكندرانى تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى - مكتبة الزهراء ص ٣٧، ٣٨.

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم وخلفت فى قرن فأنت غريب

والعلماء يقولون ليس شرطاً أن يكون المجدد شخصًا واحداً وإنما قد يكونوا مجموعة علماء، والأحاديث الواردة بأن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها[1] . فهم منها العلماء فترة زمنية تقريبية فنحن مثلاً تخطينا القرن الخامس عشر الهجرى، ومع ذلك لم يقف العالم الإسلامى متحفزاً لظهور المجدد .

أما دعوى (سيدنى) بأن إسلام سعيد كان هروباً من تعصب المسلمين فإنه وقع فى تناقض مضحك حين ادعى أن سعيداً كان شديد الحماسة؛ والتعصب للإسلام، ثم يفسر إسلامه بانه هروب من تعصب المسلمين فكيف ينسجم هذا مع ذاك ؟! وفى الفصل الذى سنتحدث فيه عن القيمة العلمية لكتابات المهتدين سنرى أن مؤلفاتهم عكست روح التسامح الدينى التى كان يحياها الكتابيون فى كنف الدولة الإسلامية[2] .

والذى لا يعرفه (سيدنى) أو يتجاهله هو أن علماء أهل الكتاب لهم معاملة متميزة وتشريعات خاصة منذ عهد النبوة ، فأمر الرسول ﷺ المسلمين فى حروبهم بألا يتعرضوا لراهب فى صومعته، ولا لكنيسة بأذى، كما تتضح هذه المكانة حين نطالع اتفاقية تمخضت عن لقاء سيدنا محمد ﷺ بوفد نصارى نجران يضمن فيها نبى الإسلام لأساقفة، وعلماء أهل الكتاب حرية دينهم، وتدينهم، والاحتفاظ بمناصبهم ما لم يوجهوا أذى للمسلمين، ولم يثيروا فتنة أو بغضاء، وهاك نص الاتفاقية « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى للأسقف أبى الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم، وكل ما تحت أيديهم، من قليل وكثير جوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا

---

(١) ورد فى سنن أبى داود . كتاب الملاحم حديث « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

(٢) مقدمة مسالك النظر ص ١١ .

كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا ما كانوا عليه من ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا، ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم، ولا ظالمين﴾(١).

وبالنسبة للجزية وأثرها فى الهداية للإسلام فسبق أن ذكرنا أن هذه القضية الزائفة لا يمكن إثارتها ضمن أسباب الهداية لعلماء أهل الكتاب خاصة أن كثيراً من أحبارهم كان يرفض الإسلام رغم معرفتهم بصحته حرصاً على مكاسبهم الدنيوية، فالأسباب المادية كانت حائلاً وليس معينا فى الهداية للإسلام، والدليل على ذلك ما نشاهده فى أيامنا هذه من تمتع أحبار اليهود بركوب السيارات، والتحكم فى المعابد وفى الأحوال الشخصية لليهود، ولا ريب أنهم لو أسلموا لفقدوا كل ذلك والحق أن المسلمين كانوا يسقطون الجزية عن الرهبان ورجال الكنيسة(٢)، وعلى فرض صحة هذا الزعم المستحيل فهو دليل على ضعف حرارة العقيدة بحيث تهون العقيدة لهوانها فى مقابل الهروب من دفع مبلغ زهيد من المال.

وأخيراً تبقى دعوى (سيدنى) بأن إسلام سعيد كان اتباعاً لحالة خاصة شهدها عصره، وهى كثره المهتدين، أو الداخلين فى الإسلام. وكلام (سيدنى) فيه مناقضتان:

أولاهما: مناقضة تاريخية، حيث لم يتوقف كثرة المهتدين إلى الإسلام فى عصر من العصور، نعم ربما يقل عدد هؤلاء المهتدين فى فترة ما، ولكن هذا لا يقلل من كثرتهم بحال.

أما المناقضة الثانية، فهى عقلية واقعية تتمثل فى أن العوام تبع للعلماء، وليس العكس كما يرى سيدنى من أن سعيداً أراد أن يركب موجة كثرة عدد الداخلين فى الإسلام، فهذا مخالف لما هو واقع وطبيعى، ومطالبة سعيد لمناظرة أحبار اليهود والنصارى خير تكذيب لكلام هذا المستشرق.

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير - دار الفكر العربى ص٢ سنة ١٣٨٧ هـ جـ٥ ص ٥٥.
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٩٧، ١١٩، ١٣٥.

وكل هذه الاتهامات تدعونا للبحث عن السبب الحقيقى لإسلام سعيد الإسكندرانى فلا ريب أنه كان للبشارات التوارتية بمحمد ﷺ أعظم الأثر فى هداية ليس فقط سعيد، بل غيره من أحبار اليهود، ومثل هذا يقال عن المهتدين من أعلام النصارى؛ حيث كان للبشارات التوراتية والإنجيلية أثر عظيم فى هدايتهم لفطرة الله التى فطر الناس عليها. وقد أسهم فى هداية سعيد كذلك ما حكاه عن مارآه من هيئة المسلمين وهم مصطفين فى الصلاة كالملائكة[١]، كما يشبههم سعيد، وهذه الحالة ليست غريبة فى أثرها على هداية غير المسلمين، ويعبر عنها رينان تعبيراً مؤثراً «ما دخلت مسجدا قط، دون أن تهزنى عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى دون أن يصيبنى أسف على أننى لم أكن مسلماً»[٢].

ولا شك أن تلك القدرة الجدلية التى ظهرت بها مؤلفات المهتدين تقطع كل دعوى يمكن أن تثار حول أهداف إسلامهم، وهذا يدعونا لدراسة مناهجهم الجدلية؛ لتكشف لنا مقدار صدق الإيمان لديهم، ومدى اقتناعهم بالإسلام فى مقابل رفض ما كانوا عليه، وهو ما نتناوله بالدراسة فى الفصل التالى.

* * *

---

(١) مسالك النظر ص ٧٧.
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٤٨، ٣٤٩.

الفصل الثانى
مناهج المهتدين للإسلام فى الجدل الدينى

لم يكتف كثير من علماء المهتدين بإعلان الإسلام ، ولكن كتب كثير منهم مؤلفات أوضحوا فيها مواقفهم الجديدة، فألف على بن ربن الطبرى[١] أحد فرسان المهتدين كتابين: أحدهما يسمى «الرد على النصارى» ولم نعثر عليه، والآخر يسمى «الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد ﷺ». ثم جاء الحسن بن أيوب[٢] وبعث برسالة لأخيه على بن أيوب يشرح فيها سبب إسلامه، وهى رسالة قيمة أفاد منها ابن تيمية والقاضى عبد الجبار المعتزلى، وكذلك أفاد منها

---

(١) جاء فى «تاريخ الطبرى» أنه على بن ربن الكاتب النصرانى. ونقل ابن أبى أصيبعة عن القفطى أن عليا بن ربن الطبرى طبيب مشهور انتقل من طبرستان إلى العراق، وسكن «سر من رأى» وربن هذا كان له تقدم فى علم اليهود، وربن والربين والراب أسماء لمقدمى شريعة اليهود. ونقل أيضاً ابن أبى أصيبعة أن ربَّن والد على كان يهوديا طبيباً منجما من أهل طبرستان... الخ ويفهم من الطبرى أن عليا بن ربن كان نصرانياً قبل إسلامه، ويفهم من ابن أبى أصيبعة أن علياً هذا كان يهودياً قبل إسلامه. والذى نراه أن عليا بن ربن الطبرى كان بالتأكيد نصرانيا فى مرحلة عمرية من حياته إن لم يكن كل حياته، لأنه قال عن نفسه: «وما زلت وأنا نصرانى أقول ويقول عم لى كان من علماء القوم، وبلغائهم أن البلاغات ليست من آيات النبوة، لأنها مشتركة فى الأمم كلها، حتى إذا اعتزلت التقليد والإلف وفارقت... العادة والتربية، وتدبرت معانى القرآن علمت أن الأمر فيه كما قال أهله».

وهذا النص يقطع بنصرانية على بن ربن الطبرى قبل الإسلام، وليس بيهوديته كما نقل ابن أبى أصيبعة عن الطبرى إلا إذا اعتبرنا أن عليا بن ربن الطبرى انتقل من اليهودية إلى النصرانية أو العكس حتى هداه الله إلى الإسلام.

وجاء فى الفهرست لابن النديم أنه عليا بن «زيل» باللام وأنه أسلم على يد المعتصم، وأدخله المتوكل فى جملة ندمائه، وأن مؤلفاته: كتاب فردوس الحكمة، وتحفة الملوك وكتاب كنائس الحضره، وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير.

(٢) الحسن بن أيوب من المتكلمين، وله من الكتب كتاب لأخيه على بن أيوب فى الرد على النصارى، وتبين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة - أنظر الفهرست لابن النديم.

المهتدون المتأخرون أنفسهم، وقد نقل الرسالة كاملة ابن تيمية فى كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

ومن المهتدين الذين ألفوا فى القرن الخامس الهجرى ولم أتوصل لمؤلفاتهم المهتدى ابن جزلة[1]. أما فى القرن السادس الهجرى فقد ألف السموأل بن يحى المغربى ت. «٥٧٠هـ» كتاب «بذل المجهود فى إفحام اليهود». وكتابات السموأل مهمة جداً، وتلقى كثيراً من الضوء على طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى، وحلم إسرائيل فى العودة إلى أرض الميعاد[2]. وفى الهند نجد المهتدى «مولوى عبيد الله» أحد البراهمة الذين أسلموا، ونشروا الإسلام بالهند، وكتب مؤلفات جدلية فى الرد على المسيحية والهندوكية[3].

---

(١) الدعوى إلى الإسلام ص ٣٦١.

(٢) جاء فى عيون الأنباء: هو السموأل بن يحى بن عباس المغربى، كان فاضلاً فى العلوم الرياضية، عالماً بصناعة الطب، وأصله من بلاد المغرب، وسكن مدة فى بغداد، ثم انتقل إلى بلاد العجم، ولم يزل بها إلى آخر عمره، وكان أبوه أيضاً يشدو شيئاً من علوم الحكمة، ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى قال: هذا السموأل شاب كان يهوديا ثم أسلم، ومات شاباً بمراغة، وبلغ فى العدديات مبلغا لم يصله أحد فى زمانه. بلغ فى الصناعة الجبرية الغاية القصوى، وأقام بديار بكر وآذر بيجان، وله رسائل فى الجبر والمقابلة يردفيها على ابن الخشاب النحوى.... وقال الصاحب جمال الدين القفطى أن السموأل هذا لما أتى إلى المشرق ارتحل منه إلى أذربيجان، وخدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة المراغة، وأولد أولادا هناك سلكوا طريقه فى الطب. وارتحل إلى الموصل وديار بكر، وأسلم وحسن إسلامه، وصنف كتابا فى إظهار معايب اليهود، وكذب دعاويهم فى التوراه، ومواضع الدليل على تبديلها وأحكم ما جمعه فى ذلك، ومات بالمراغة سنة سبعين وخمسمائة.

وللسموأل بن يحى بن عباس المغربى من الكتب: كتاب المفيد الأوسط فى الطب صنفه سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد وللوزير مؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين ابن محمد بن الحسن بن علي. رسالة إلى ابن حدود فى مسائل حسابية جبر ومقابلة كتاب إعجاز المهندسين، صنفه لنجم الدين أبى الفتح شاه غازى ملك شاه ابن طعر لبك، وفرغ من تصنيفه فى صفر سنة سبعين وخمسمائة. كتاب الرد على اليهود، كتاب القوافى فى الحساب الهندى ألفه سنة ثمانى وستين وخمسمائة كتاب المثلث القائم الزاوية وقد أحسن فى تمثيله وتشكيله...، كتاب المنبر فى مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها. كتاب المياه».

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٤٢.

ومن المهتدين الذين ألفوا فى القرن السابع الهجرى يوسف اللبنانى ، والشيخ زيادة بن يحى[١]، ومؤلفاتهم ليست بين يدى. أما فى القرن الثامن الهجرى فيقابلنا سعيد بن الحسن الإسكندرانى أحد فرسان المهتدين الذين أسلموا أواخر القرن السابع الهجرى (٦٩٨هـ) . ووضع كتابه سنة عشرين وسبعمائة من الهجرة، وأسماه مسالك النظر فى نبوة سيد البشر بشارات التوراه بمحمد ﷺ .

وأخيراً نجد فى القرن التاسع الهجرى: المهتدى عبد الله بن عبد الله الترجمان الذى ألف « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » سنة « ٨٢٣هـ» وفى كتابه نطالع سيرة ذاتية عن المؤلف، ونظرة تاريخيه على عصره بالإضافة لنقضه للمسيحية.

ويوجد مهتدون ألفوا كتباً جدلية مهمة، ولكن لا تعرف فى أى عصر كتبت؛ مثل المهتدى نصر بن يحى المتطبب[٢]، الذى ألف كتابا مهما بعنوان « النصيحة الإيمانية » ويرجح لدى أنه عاش إما فى عصر الشاعر أبى العلاء المعرى، الذى توفى سنة « ٤٤٩هـ» أو ربما عاش بعد عصر هذا الشاعر، لكن يقينا لا يمكن أن يكون عاش قبل عصر المعرى إلا أن يكون أكبر من المعرى، وهى فترة زمنية لن تطول. وليس لنا أن نجزم كما ذهب البعض أن نصرا المتطبب عاش سنة « ٤٤٩هـ» لوفاة المعرى فى هذه السنة، فما المانع أن ينقل نصرعن المعرى وهو حى يرزق؟! بل ما الذى يمنع أن يموت الناقل قبل المنقول عنه؟! والحق أنه من الممكن أن يقال إن نصراً المتطبب يرجح أنه عاش بعد سنة ٤٤٩ هـ، أما أن نجزم بذلك، ويتكلف أحد الباحثين[٣] ويذكر كتاب النصيحة الإيمانية ضمن مؤلفات القرن السادس الهجرى بلامبرر مذكور فهذا ما لا نوافق عليه.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦١ .

(٢) جاء فى هداية العارفين: «المهتدى - نصر بن يحى بن عيسى كان نصرانياً ثم أسلم اشتهر بالمهتدى له النصيحة الإيمانية .

(٣) منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية: عبد الراضى محمد رسالة ماجستير بدار العلوم ص ١٩ .

ومن المهتدين الذين لم نتوصل لمعرفة عصرهم كذلك إسرائيل بن شموائيل الأورشليمي صاحب «الرسالة السبيعية بإبطال الديانه اليهودية». كما يوجد مهتدى كان يهودياً وسمى بعبد السلام ألف الرسالة الهادية، ونقل أجزاء من هذه الرسالة الشيخ رحمه الله الهندى وذكر الشيخ رحمه الله أن هذا المهتدى عاش فى عهد بايزيد خان «السلطان العثمانى» وهذا أوقعنى فى حيرة؛ لأنه يوجد بايزيدان أولهما بايزيد الأول ت ٨٠٥ هـ. وبايزيد الثانى الذى ترك الحكم ٩١٨هـ.

والحقيقة أن تنوع مناهج هؤلاء المهتدين فى الجدل يحقق للقارئ متعة عقلية مميزة؛ حيث يقف على طرق مختلفة للمناظرة والاحتجاج على الخصم. وهذه الطرق رغم تنوعها قد تتفق أو تختلف بقدر اختلاف أسباب الكتابة ومصادرها واختلاف العصر والهدف من الكتابة فمن المهتدين من تميزت كتاباتهم بالشمول لأهم عناصر الخلاف بين الإسلام والنصرانية، نجد ذلك عند الحسن ابن أيوب، ونصر المتطبب، الذى درس النصرانية. رغم صغر حجم كتابه – دراسة شاملة فيقول: «أحببت أذكر نبذا من أحوال النصارى، واختلاف مذاهبهم وآرائهم، واعتقاداتهم، وضلالهم، أو ما أورد كل صاحب مذهب فى معنى الاتحاد، والآب والابن والروح القدس، وما تضمنته أنا جيلهم عن حال المسيح ابن مريم، من حين ولد إلى أن أخذته اليهود وما فعلوا به، وكم كانت الأناجيل، وكم هى الآن، وأذكر اتخاذهم الصلبان، وتعظيمهم لها وسجودهم للصور، وحال قرابينهم، وكيف اتخذوها»[1].

ومن المهتدين من جعل كل اهتمامه إثبات قضية بعينها كما فعل سعيد الإسكندرانى، حيث اقتصر كتابه على إثبات البشارات التوراتية بسيدنا محمد ﷺ. وأيضا اتفق معه على بن ربن الطبرى فى ذلك كما يتضح من عنوان كتابه «الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى محمد ﷺ». فمعظم الكتاب فى إثبات

---

(١) النصيحة الإيمانية: نصر المتطبب – دار الصحوة ١٤٠١ هـ – ١٩٨٦ م ص ٥١، ٥٢.

النبوة للرسول ﷺ إلا مسائل معينة؛ مثل الردود التى احتج بها الطبرى على أسئلة بعينها لأهل الكتاب. ومما هو جدير بالذكر أن أغلب المهتدين اتفقوا فى ذكر البشارات بسيدنا محمد ﷺ وإن اختلفوا منهجياً فى مدى الاهتمام بهذه القضية، فسبق أن ذكرنا من وضع كتبا بعينها لإثبات هذه البشارات، ومنهم من خصص لها جزءاً بعينه ليتوازن مع باقى أجزاء الكتاب كما فعل نصر المتطبب، بينما نجد السموأل تعرض لإثبات البشارات التوراتية بشكل جزئى؛ مثل ما خاطب به الله إبراهيم. «وأما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك، قد باركت فيه وأكثره جدا جدا»[١] . فبعد أن ذكر السموأل النص العبرى لتلك البشاره علق قائلا: «فهذه الكلمة بما دماد، إذا عددنا حساب حروفها بالجمل وجدناه اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف محمد ﷺ»[٢].

وتوضيح ذلك: بمادماد

ب	م	ا	د	م	ا	د	
٢	٤٠	١	٤٠	٤٠	١	٤	= ٩٢

أما إسم محمد

م	ح	م	د	
٤٠	٨	٤٠	٤	= ٩٢

ونحاول أن نتعرف على أسباب ودوافع المهتدين من الكتابة فى مجال مقارنة الأديان.

دوافع المهتدين لوضع مؤلفاتهم:

من السهولة بمكان أن نتعرف على أهم الأسباب التى دفعت هذه السلسلة المباركة من أعلام المهتدين للكتابة فى الجدل الدينى؛ حيث ترجع هذه الأسباب غالباً إلى سببين رئيسيين:

---

(١) بذل المجهود ص ٣٤.   (٢) بذل المجهود ص ٣٤.

أولهما : هو الإجابة عن سؤال لابد أن تطرحه الأذهان يتمثل فى :

س : لماذا ترك هؤلاء الرجـال دينهم الذى نشـأوا عليـه؟ ويوضح ذلك السموأل حيث ذكر ما يفترض أن يأتى على لسان اليهود! «ألا ياحبيبى : ما الذى ألجاك إلى أن تترك دين آبائك وأجدادك، وتوراتهم، وشريعتهم، وتنتقل إلى دين الكوئيم دين الإسلام، الذى كنت تبغضه وتشنؤه. كما نحن الآن جماعة اليهود، ونكره الدخول فيه؟»(١). وأخذ السموأل يجيب عن هذا السؤال بعينه، وبعث الحسن إلى أخيه على بن أيوب برسالة يشرح له فيها سبب إسلامه.

أما السبب الثانى – فيتمثل فى محاولة المهتدين نقل الهداية لذويهم، بإظهار محاسن دين الإسلام فى مقابل اليهودية والنصرانية، ولذلك فقد اتسمت كتاباتهم : «بحس دعوى مرهف عميق، فكانوا حريصين على نقل الهداية، والنور الذى غمرهم إلى الناس جميعاً، وعلى الخصوص من كانوا على دياناتهم السابقة فحجاجهم السديد وجدالهم البارع لم يكن من أجل هوى الغلبة وشهوة الانتصار على الخصم، بل كان من أجل تمييز الحق من الباطل، ودعوته إلى هجران الباطل واتباع الحق، حسبة لله تعالى»(٢).

بهذا الحق الذى اتبعه المهتدون، والقدرة الجدلية على إثباته جاءت كتابات المهتدين متميزة بقواعد وسمات منهجية مميزة، وهو ما يجدر دراسته فيما يلى :

قواعد مناهج المهتدين الجدلية :

هذه القواعد المنهجية لها أهمية كبرى فى ضبط معايير الحكم على القضايا المعالجة، وهى التى تضبط سير المنهج الجدلى بين المتنازعين وتساعدهم كثيراً فى الوصول إلى نتائج صحيحة، وأهم هذه القواعد :

(أ) عدم التسليم بصحة معتقدات الآباء. فيقول السموأل : «فإن سبيل من فضل من العباد بالفطانة، أن يجد فى البحث عن أحوال المعاد، والتأمل لما

---

(١) الرسالة السبيعية ص ٧٠.

(٢) مقدمة المحقق د. محمد عبد الله الشرقاوى للنصيحة الإيمانية ص ٢٢، ٢٣.

أخذه عن الآباء والأجداد، بعين الامتحان والانتقاد، فإن رآه مصلحة سما لإدراكها، وإن ألفاه رزيلة نجا من أشراكها»[١].

(ب) بعد الدخول فى الجدل كان المهتدون يذكرون عند النظر لمعظم القضايا الخلافية بين المسلمين وأهل الكتاب عدة مبادىء، فمثلاً فى القضية الخلافية الكبرى بين المسلمين والنصارى، وهى إلهية المسيح عليه السلام. رأى المهتدون أن المسيح لم يزد عن أن يكون بشراً رسولاً، أما أنه بشر فذلك لأن «العيان شاهد بأن ناسوت المسيح على ما كان عليه ناسوت غيره من الناس»[٢]. فمثلا مكث المسيح: «فى بطن أمه تسعة أشهر ثم أقام مولوداً، وتغذى باللبن، ومربوباً صغيراً مغذى بالأغذية»[٣] وأما كون المسيح رسولاً فلأنه يقول إنه مربوب مبعوث، وأن الله أرسله[٤].

(جـ) طلب المهتدون من مخالفيهم أن يعطو هم نفس مساحة الحرية، التى يعطونها لأنفسهم فى فهم النصوص المقدسة، فبعد أن أثبت المهتدون بمنهج مقارن أن معجزات المسيح مثل معجزات غيره من الأنبياء، بل أحيانا تكون معجزات الأنبياء أعظم من معجزات المسيح، وتبقى نصوص ربما أشكلت على النصارى من حيث موقفهم العقدى من المسيح؛ مثل قوله: «أنا قبل إبراهيم»[٥] ومثل هذا النص مذكور أيضاً على لسان غيره من الأنبياء كسليمان – عليه السلام – الذى يقول فى حكمته «أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث مد الأرض»[٦].

فلو كان المسيح إلها لأنه قبل إبراهيم، فكذلك سليمان لأنه قبل الدنيا، ولو

---

(١) بذل المجهود ص ٢٠.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ٦٦.
(٣) رسالة الحسن بن أيوب بالجواب الصحيح جـ٢ ص ٣٢.
(٤) رسالة الحسن ص ٣٢٣، ٣٢٤.
(٥) النصيحة الإيمانية ص ١٢٢ ورسالة الحسن ص ٣٤٠.
(٦) النصيحة الإيمانية ص ١٢٢.

قال النصارى إن سليمان لا يجوز أن يكون إلها؛ لأنه من ولد إسرائيل فكذلك المسيح لأنه من ولد إبراهيم.

وهنا يطلب كل من الحسن بن أيوب، ونصر المتطبب حقهم فى فهم النصوص الكتابية وتأويلها: «فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر فى المسيح تعلقنا بظاهر الخبر فى سليمان وداود، وإلا فما الفرق؟!»[١].

(د) رغم أن المهتدين ذهبوا فى جدلهم مع أهل الكتاب كل مذهب، وجاروهم فى تأويلاتهم إلى أبعد درجات المجاراة، مثبتين أنها غير ملزمة لإلهية المسيح؛ لأنها لو كانت دليلاً على ألوهيته لكانت دليلاً أقوى على ألوهية غيره وهذا ما لا يقوله أحد، أقول بالرغم من كل ذلك فإن هذا لم يمنع المهتدين من أن يقعدوا مبادىء هامة تساعد على فهم كلام الأنبياء، فرأوا أنه يجب أن «يحمل كلام الأنبياء عليهم السلام، وغيرهم على معنى لغتهم التى جرت عادتهم بالتكليم بها، لا على لغة يحدثها من بعدهم، ويحمل كلامهم عليها»[٢] فمثلاً فى إطلاق لفظ الابن على اللاهوت ليس هذا من مقتضيات لغة المسيح، أو غيره من الأنبياء؛ بل ذلك مما ابتدعته النصارى[٣].

كما أن الأصل فى الألفاظ أن تحمل على معانيها الحقيقية ما لم تكن توجد قرينة تخرجها عن ذلك؛ ولذلك حين ادعى النصارى أن المسيح قال إنه لا يصعد إلى السماء إلا الذى هبط منها. «يوحنا ٣ : ١٣» فهذا كذب على المسيح؛ لصعود أناس إلى السماء لم يكونوا هبطوا منها؛ مثل إدريس، وإلياس، وحتى محمد ﷺ فإنه صعد إلى السماء ليلة المعراج[٤].

فإن ادعى النصارى أن عيسى – عليه السلام – قصد بكلامه الأرواح فيرد الترجمان أن «هذا مخالف للتوراة والإنجيل، فإن فيها أن الأنبياء الذين صعدوا

---

(١) النصيحة الإيمانية ص ١٢٢ . ورسالة الحسن ص ٣٤١ .
(٢) رسالة الحسن ص ٣١٣ .
(٣) رسالة الحسن ص ٣٤٣ .
(٤) تحفة الأريب ص ١٢٥ .

إلى السماء بأجسادهم صعدوا مع أرواحهم، مثلما صعد نبينا محمد ﷺ فإن قالوا عيسى قال ذلك وعنى به أرواح البشر الذين ماتت أجسادهم فعند الموت يصعد الملائكة بها إلى السماء. قلنا هذا احتمال يسقط مع الاستدلال والأصل فى الألفاظ العموم والحقيقة حتى يثبت خلافها »[1].

وعند معالجة المهتدين للنسخ فى الشرائع السماوية رد على بن ربن الطبرى على الذين ينكرون على الرسول ﷺ مخالفته لموسى وعيسى فى بعض أحكام التوراه والإنجيل معتمداً على قاعدة مؤداها « أن الله تبارك وتعالى حكيم عليم رحمن رحيم، الخلق له والمرشد منه، والحول والقوة به، وليس للعباد الاعتراض عليه فيما يأمر به، والدخول فى سابق علمه، وخفى تدبيره، بل الانقياد والسمع »[2].

وعندما معالجة السموأل لقضية النسخ ذكر مجموعة من المبادىء التى يجب أخذها فى الاعتبار من أهمها:

١ – الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية[3] القاصرة، وليس لليهود بالذات الاعتراض؛ لأنهم كثيراً ما « تعبدوا بفرائض مباينة للعقول، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التى كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل الحج، ونجاسة ظاهرهم بذلك الرماد بعينه »[4].

٢ – العبادات غير عائدة بنفع لله تعالى أوضرر عليه، فما الذى يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشريعة، وينهى أمة أخرى عن هذه الشريعة[5].

(هـ) وإذا انتقلنا لمعالجة المهتدين لنقل الأخبار، فإننا نراهم وضعوا مجموعة من المبادئ التى يجب توخيها عند قبول الخبر أو رفضه من أهمها:

١ – الإجماع ليس حجة فى صدق الخبر؛ بل لابد أن يحمل الخبر نفس

---

(١) تحفة الاريب ص ١٢٥.
(٢) الدين والدولة ص ٢٠١، ٢٠٣.
(٣) بدل المجهود ص ٢٣.
(٤) بذل المجهود ص ٢٢.
(٥) بذل المجهود ص ٢٣.

أمارات صدقه[1]، ويعلل ذلك على بن ربن « لأناقد رأينا أمما كثيرة العدد، عظيمة القدرة، موصوفة بالأفهام والأحلام، يشهدون لعدة من الخبثة الكذابين بجميع ما ادعوه؛ مثل الزنادقة والمجوس إما تقليداً أو إلفا كما بينا، وإما غباوة محكا، وإما إجباراً أوكرها . . . . »[2].

وليس معنى هذا التقليل من أهمية الإجماع، ولكنه ليس المحك الوحيد لقبول الأخبار أو رفضها. بل لابد من قرائن أخرى، حيث رأى ابن ربن أن « قبول كل إجماع فتنة ورد كل إجماع ضلالة، وأن الإجماع وحده ليس بكاف فى تثبيت النبوة دون شهادات الحق، وأماراته التى جمعها الله تعالى للنبى ﷺ »[3]. وينقل على عن العلماء قولهم: « أنه إذا انتحل النبوة منتحل مبطل، لم يمهله الله حتى يجرى التناقض على لسانه »[4]. وهذا مصداق لقوله عز وجل: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً** ﴾ [النساء آية: ٨٢].

٢ – الخبر المعجز أو العجيب الذى يصدر عن الأنبياء يجب أن يتسامع به الجميع، فلا يختص بمعرفته البعض دون غيرهم، فمثلاً ما ذكره يوحنا من تحويل المسيح الماء شراباً، وغسله أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل « يوحنا ٤ : ١٧ ». يرى نصر الطبيب أن عدم ذكر متى ولوقا ومرقس لهذه الأخبار يشكك فى مصداقية ليس فقط كلام يوحنا بل الجميع؛ لأن مثل هذه الأخبار لا يختص بعلمها واحد دون الآخر[5]؛ بل يتسامع بها الناس، ويخبر الشاهد الغائب فالمفترض فى مثل هذه الأخبار ألا تخفى « على أمثالهم – يقصد أصحاب الأناجيل – بل على بلدانهم، فضلاً عن الغرباء والأصحاب »[6].

---

(١) مناهج علم الكلام رزق يوسف الشامى ص ١٠٢ .
(٢) الدين والدولة ص ٤٢ .
(٣) الدين والدولة ص ٤٣ .
(٤) الدين والدولة ص ٤٤ .
(٥) النصيحة الإيمانية ص ٨٤.
(٦) النصحية الإيمانية ص ٨٣.

(و) ناقش المهتدون دعوى مشهورة لدى أهل الكتاب وهى أن الرسول لم تبشر الكتب السابقة، وهى دعوى سبق أن ناقشها ابن تيمية فيقول: « والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم، وهو أن منهم من يقول: محمد لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح فإنه بشرت به النبوات »[1].

وحين أجاب المهتدون عن ذلك قرروا عدة مبادىء أهمها:

١ - ليس شرطاً لكي نعترف بنبوة نبى أن يكون مذكوراً فى التوراة والإنجيل والكتب السابقة [2].

٢ - إذا كان من الضرورى أن يسبق النبى بشارات قبله فمن بشر بموسى وداود، واشعيا، وإرميا، وهم عند أهل الكتاب من أفضل الأنبياء رغم أنه لم يبشر بهم نبى قبلهم ومن ثم « ليس من شرط صحة نبوة نبى أن يتقدمه نبى فيخبر أنه يجىء نبى.... فمن أخبر عن موسى، وعن إشعيا وإرميا وغيرهم من الأنبياء »[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مفكرينا عالجوا هذه الدعوة بنفس روح ومنهج المهتدين، فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه « ليس من شرط النبى أن يبشر به من تقدمه كما أن موسى كان رسولا إلى فرعون، ولم يتقدم لفرعون به بشارة، وكذلك الخليل عليه السلام أرسل إلى نمرود، ولم يتقدم به بشاره نبى إليه، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم بواحد من هؤلاء بشارة إلى قومهم بهم مع كونهم أنبياء صادقين، فإن دلائل النبوة لا تنحصر فى إخبار من تقدمه »[4] وذهب إلى نفس الرأى القرطبى، حتى أنه افترض أنه لو « أن الأنبياء لم يبشروا به ﷺ لكانت نبوته ثابتة ببراهين قاطعة كثيرة، بها عرف ثبوته العقلاء الذين لم يقرأوا من قبل كتاباً، ولا انتسبوا إلى شريعة »[5].

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص ٢٧٥. (٢) الدين والدولة ص ٤٩.

(٣) النصحية الإيمانية ص ١٣٨، ١٣٩ قارن الدين والدولة ص ٤٨، ٤٩.

(٤) الجواب الصحيح ص ١٧٧.

(٥) الإعلام بما فى دين النصارى: القرطبى دار التراث العربى ص ١٧٥.

ورغم أن المهتدين بينوا أن النبى ﷺ ليس فى حاجة إلى ذكره فى الكتب السابقة، فإنهم كانوا أعلم الناس بمواضع البشارة به فى هذه الكتب، وسبق ذكر أن علماء أهل الكتاب كانوا ينتظرون مقدم النبى قبل البعثة؛ بل إن أعلام النبوة كما يذكر ابن قيم الجوزية مأخوذة من علماء أهل الكتاب (١). وكان المسلمون يسألون أهل الكتاب عن صفة النبى ﷺ، فإذا كان المهتدون أسهموا فى علم المقابلة بين الأديان فإنهم كانوا رواداً فى مجال إثبات البشارة بالرسول ﷺ، حتى أنهم وضعوا كتبا بعينها لإثبات هذه البشائر الكتابية وتخصيصها لسيدنا محمد ﷺحتى أن علياً الطبرى رأى أنه لو لم يبعث النبى لبطلت نبوة الأنبياء (٢)؛ لأنهم بشّروا به ولم يأت. فكان نبوته، ومبعثه ﷺ هى تأكيد، وتثبيت لنبوات الأنبياء السابقين للإسلام، فليس من صالح أهل الكتاب تجاهل، أو إخفاء البشارة بنبى الإسلام؛ لأن فى ذلك نقض لصحة النبوة والوحى والرسالات السماوية جميعاً.

وهكذا نرى أن المهتدين رغم أنهم بينوا أن النبى ليس فى حاجة إلى نبوات الأنبياء السابقين له، بل الأنبياء السابقين للإسلام هم الذين فى حاجة إلى بعثته، ومع ذلك فإنهم أفسحوا المجال لإثبات نبوته ﷺ.

ولا ريب أن هذه المبادىء التى قعدها المهتدون أكسبت كتاباتهم سمات منهجية مميزة تجدر دراستها.

سمات مناهج المهتدين الجدلية:

تميزت مناهج المهتدين الجدلية بصفات مهمة، اتضح منها أمانتهم، ودقتهم، وموضوعيتهم فى الجدل الدينى، فكان من أهم هذه السمات:

(أ) الدقة فى عرض معتقدات أهل الكتاب بمذاهبهم المختلفة، وبلغت هذه الدقة مداها فى نقل المهتدين الخلافات العقائدية داخل المذهب الواحد، كما فعل

---

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى: ابن قيم الجوزية المكتبة القيمية ص ١٥٤.

(٢) الدين والدولة ص ٤٧.

نصر الطبيب حين ذكر مذاهب النصرانية من يعاقبة، وملكانية، ونساطره، ومعتقداتهم المختلفة، ولم يكتف بذلك، وإنما تطرق لذكر الخلافات بين النساطرة أنفسهم، وكذلك اليعاقبة والملكانية.

كما التزم هؤلاء العلماء بالدقة فى نقل أدلة مخالفيهم فيقول الحسن ابن أيوب: «وهذه الأسباب التى ذكرناها كلها هى الأسباب التى تتعلقون بها فى نحلتكم المسيح الربوبية، وإضافتكم إليه الإلهية، وقد وصفناها على حقائقها عندكم»[1].

ويلتمس القارئ هذه الدقة العلمية ليس فقط فى عرض عقائد وحجج أهل الكتاب بل أيضاً فى مناقشتهم تلك العقائد، واستيفائهم جميع جوانب القضية محل الخلاف، ومما ساعدهم على ذلك طبيعة نشأتهم السابقة لإسلامهم، وما كان لها من أثر فى معرفة خبايا مذاهب الكتابيين. فنجد نصر الطبيب بعد أن طلب قبول الله لتوبته حكى عن نفسه: «فلقد عمت فى تيار بحر الضلالة، وركضت فى ميدان الجهالة، وشاركت الجاحدين فى أفعالهم والمشركين فى أقولهم، والكافرين فى ضلالهم، ووافقت الملحدين فى إلحادهم، والمجرمين فى كفرهم، وعنادهم واعتمدت ما يعتمدونه من شد الزنار، والشرك بالله الواحد القهار، والوقوف بين يدى الصور والصلبان . . .»[2].

(ب) ارتبطت بسمة الدقة سمة منهجية أخرى هى الأمانة العلمية فى نقل عقائد وأقوال أهل الكتاب، ويوضح ذلك قول الحسن ابن أيوب بعد أن ينقل أسباب تمسك النصارى بعقائدهم فيقول: «.... وقد وصفناها على حقائقها عندكم»[3]. ويوضح نصر التزامه بهذه الأمانة بما لا يخرج عن كلام ابن أيوب، فيقول عن أسباب اعتقاد النصارى الألوهية فى المسيح: «وهذه الأسباب التى ذكرناها هى الأسباب التى تتعلقون بها فى إنجيلكم للمسيح بالربوبية، وإضافتكم

(١) رسالة الحسن بن أيوب ص ٣٤٢.
(٢) النصحية الإيمانية ص ٥٤.
(٣) رسالة الحسن ص ٣٤٢.

له الألوهية، قد ذكرناها على حقائقها عندكم، وما هو فى الكتب التي فى أيديكم، وهى : التوراه، والزبور، وكتب الأنبياء، والإنجيل»[1].

(جـ) ارتبطت بالأمانة خاصية مهمة وهى التوثيق العلمى فى البحث؛ لدرجة جعلت هؤلاء العلماء لا يكتفون بنقل النصوص المترجمة للكتب المقدسة، بل رجعوا إلى هذه النصوص فى لغاتها الأصلية التى كتبت بها، وتتضح هذه السمة جليه عند السموأل، الذى كان لا يكاد يذكر النص العربى حتى يتبعه بأصله العبرى، وسبق أن ذكرنا أنه استدل على نبوة سيدنا محمد ﷺ بالنص العبرى. فكلمة «بمادماد» تساوى بحروف الجمل مجموع كلمة «محمد». وقد ذكرت هذه الكلمة عند الحديث عن مكانة إبراهيم وإسماعيل.

ويفترض السموأل أن اليهود سيردون بأن هناك كلمات توراتية حروفها تتساوى عددياً مع اسم زيد، وعمر، وخالد فيكونوا أنبياء، ويقطع السموأل عليهم هذا المخرج قائلاً: «الجواب : لو أن لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة، لكنانقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها فى سائر التوراة، وذلك أنه ليس فى التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية؟ لانها وعد من الله تعالى لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل، وليس من التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد، كما أنه ليس فى هذه الآية كلمة تساوى «بمادماد» التى معناها جداً جداً. وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة»[2].

(د) وكان منهج المهتدين يميل إلى الإيجاز والاختصار فيقول السموأل عن اليهود «ويطول الكتاب إن عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم»[3].

وإن كنا نشير إلى أن كتاب على بن ربن الطبرى جاء مختصراً فى موضوعه «الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى ﷺ» ولكنه استوفى كثيراً من البشارات به ﷺ.

---

(١) النصيحة الإيمانية ص ١٢٣.
(٢) بذل المجهود ص ٣٤.
(٣) بذل المجهود ص ٤١.

(هـ) الإكثار من الاستشهاد بالنصوص الدينية :

غلب على المهتدين الاستشهاد بالنصوص التوراتية والإنجيلية، وهذا يرجع لأنهم كانوا علماء وقساوسة وأحبار فى ديانتهم السابقة، وكان هذا يساعدهم على استخدم هذه النصوص لتأييد مواقفهم.

وقد كانْ لهذه القواعد والسمات المنهجية، التى اتسمت بها كتابات المهتدين الجدلية أثر كبير فى تفوقهم جدليا، وهذا يدعونا للتعرف على أسباب هذا التفوق، وأهم طرق الاستدلال لديهم.

عوامل تفوق المهتدين جدلياً :

تشابكت عوامل عديدة أدت إلى تفوق المهتدين جدليا :

(أ) تكوينهم العقلى الذى لا يقبل ما يلقى عليهم إلا بعد البحث والنظر، فلا ريب أن هؤلاء العلماء تميزوا بتركيبه نفسية وعقلية مميزة، جعلتهم لا يركنون إلى الإلف والانقياد. وهم بلا شك قدمروا بمرحلتين جدليتين مهمتين :

أولاهما : مرحلة جدلية ذاتية، وفيها عايشوا أنفسهم، وقاموا بجدال عقلى نفسى داخلى يقارع فيها العقل الحجة بالحجة، وتتجرد فيها النفس من الهوى، ويشترك كل من العقل والفطرة فى الوصول إلى النتيجة الصحيحة، والحكم السليم المتمثل فى اختيار الإسلام.

ثانيهما : وضع الكتب الجدلية التى يعلمون مسبقا ما سوف تثيره من ردود فعل، ومن ثم احتشدوا لذلك بكل ما يملكو ن من وسائل تساعدهم على إثبات صدق نتائجهم.

(ب) تنوع ثقافة هذه النخبة، فمنهم من درس العلوم الرياضية، وعلوم المنطق والفلسفة اليونانية، فيقول السموأل : « وشغلنى أبى بالكتابة بالقلم العبرى، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها. حتى إذا علم ذلك عند كمال الثالثة عشرة من مولدى شغلنى حينئذ بتعليم الحساب الهندى وحل الزيجات.... وقرأت علم الطب... »[1].

---

(١) بذل المجهود ص ٥.

ويذكر كذلك أنه قرأ الدواوين الأدبية مثل ديوان عنترة، وأخبار إسكندر ذى القرنين، وكتب التاريخ كتاريخ الطبرى.

. ولا ريب أن هذه الدراسات المتنوعة قد كست مؤلفات المهتدين سلامة فى منطقها، وعقلانيتها الصارمة. مع حسن الترتيب والتقسيم مما أكسب مؤلفاتهم قوة فى الجدل وبراعة فى الاحتجاج(١)، بالإضافة إلى استيفائها شرائط السلامة اللغوية، وهو ما يؤكده السموأل: «كنت لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتاب قد اكتسبت بكثرة مطالبتى لحكاياتهم وأخبارهم قوة البلاغة، ومعرفة بالفصاحة، وكان لى فى ذلك طبع يحمده الفصحاء، ويعجب به البلغاء – وقد يعلم ذلك منى من تأمل كلامى فى بعض الكتب التى ألفتها فى أحد الفنون العلمية – فشاهدت المعجزة الكبرى التى لا تباريها الفصاحة الآدمية فى القرآن العظيم، فعلمت صحة إعجازه»(٢).

(جـ) ما حباهم الله به من قوة الذاكرة، وحضور الذهن، وسرعة البديهة، واستحضار الحجة، فكانوا على دراية بالنصوص المقدسة فى الكتب الثلاث «التوراة، والإنجيل والقرآن». وقد ظهر ذلك من اهتمامهم بالمنقول، وكثرة الاستشهاد بالنصوص الدينية، فليس معنى نشأة هؤلاء العلماء غير الإسلامية أنهم لم يكونوا على دراية بالقرآن وسيرة النبى ﷺ والصحابة والتابعين.

ولقد كان لهذه الأسباب التى حبا الله بها المهتدين، وهيأها لهم، دور عظيم فى أن يسلك هؤلاء العلماء طرقاً عديدة تثبت تهافت ما كانوا عليه، ومن ثم يجدر بنا أن ندرس أهم الطرق التى سلكها المهتدون فى الاستدلال.

أهم طرق الاستدلال لدى المهتدين:

كان المهتدون على علم بطبيعة أهل الكتاب، وعلى دراية بكيفية تعامل الله تعالى معهم، فإذا جاءت البشارة بالنبى ﷺ فى التوراه ملغزة يبين المهتدون أن

---

(١) مقدمة النصيحة الإيمانية للمحقق ص ٢١.

(٢) بذل المجهود ص ٧، ٨.

سبب هذا الإلغاز هو أنها لو كانت واضحة لبدلتها اليهود كما بدلت غيرها، فأراد الله ان تكون البشارات بالنبى هكذا حتى تخفى عليهم.

وعرف المهتدون الطريق الأمثل للرد على أهل الكتاب، ويتمثل فى نفس الكتاب الذى يقدسونه، وهذا ما يوضحه السموأل: «وقد جعل الله إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه فى أيديهم: من نص تنزيلهم، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم؛ ليكون حجة عليهم موجودة فى أيديهم»[1]. وليس معنى هذا التقليل من أهمية الحجج القرآنية، فقد اعترفت تلك الطائفة بإلزام الجدل القرآنى لأهل الكتاب، الذين دائماً ما يعتذرون فى محفل المناظرات بأنهم لا يؤمنون بالقرآن فليس ملزما لهم. فأراد المهتدون أن يفوتوا على ذويهم مثل هذا الاعتذار بإلزامهم بأقوال ونصوص مقدسة لديهم، ولا ريب أن هذه الطريقة أوقع.

وقد جاءت استدلالات المهتدين واضحة، وغير قابلة للمراجعة والرد، فكان من أهم هذه الاستدلالات التى اعتمدوا عليها.

(١) الاعتماد على العلم الضرورى:

العلم الضرورى هو العلم الذى لا يمكن لأحد أن يجحده، وقد اعتمد المهتدون على مسلماته كثيراً، فحين يحتج النصارى، بما يدعونه من نداء «هذا هو ابنى الذى اصطفيته»[2] يرد نصر قائلاً: «وقد علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق، ولم يستنكف المسيح من الاعتراف بذلك فى كلامه، ومازال يقول: إلهى وإلهكم أبى وأبيكم... وكل ما يصحح أنه عبد، مرسل، مربوب، مبعوث بأمور، يؤدى ما سمع، ويفعل ما حد له»[3].

وحين تذكر شريعة الإيمان المسيحية أن المسيح بكر الخلائق، رأى المهتدون أن هذا دليل قوى على بشرية المسيح، لأن بكر الشىء لا يكون إلا منه، أما إذا فهم النصارى من البكر أنه أول قديم، فهذ مناقض للعلم الضرورى «فلسنا نعرف

(١) بذل المجهود ص ٢٠.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ٩٠.

(٢) النصيحة الإيمانية ص ٩٠.

للبكر معنى فى لغة من اللغات إلا الأول من الأولاد، وبكر الخلائق لا يكون إلا منهم، كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلا من جنسهما، ومن المحال أن يقال: بكر ولد آدم ملك، وكذلك من المحال أن بكر المصنوعات ليس بمصنوع، وبكر المخلوقات ليس بمخلوق»[1].

وينسب النصارى إلى المسيح أنه ادعى أن معجزاته لا يستطيع أن يأتى بها غيره، وهو كلام لم يقله المسيح؛ لأن موسى أتى بمعجزات كثيرة، وكذلك إلياس واليسع[2]، ومنهم من أحيا موتى كإليا بل حين قلب موسى العصا حية فإنه حقق معجزة أكبر من المسيح لأن قلب الجماد إلى حيوان أعظم من إحياء الإنسان، لأن موسى بعث الحياة فى الجماد. ويعتقد النصارى أن الله أرسل ابنه ليصلب، فيتم الخلاص، ويحتمل الخطيئة ويربط الشيطان، وكل هذه الأمور ما زال يعانى العالم منها« فقد وجدنا الخلاص لم يقع، والخطيئة قائمة لم تزل، والشيطان أعتى مما كان لم يربط، بل سلطه الله عليه على ما تقولون، فحصره فى الجبل أربعين يوما يمتحنه[3]» والحق أن هذا الكلام عجيب فهل إن اعتبر آدم أخطأ لأكله من الشجره ينتقل ذنبه إلى أولاده، وهم لم يرتكبوا هذا الخطأ، ولم يأكلوا من الشجرة، وهل إذا قام شخص بجريمة ننفذ العقاب فى أولاده ونعتبرهم مجرمين؟. وهل تكفير خطأ آدم يكون بقتل الإله وهل بالفعل يمكن قتل الإله؟ وهل الذى يجوز قتله يصح أن يكون إلهاً؟ وإذا قتل الإله فمن الذى كان يدبر ويحكم العالم فى فترة موت الإله؟ أم ترك العالم بلا إله، وهل يتصور أن يبقى العالم بلا إله ولو للحظة أو طرفه عين؟ ومن أحيا الإله بعد ذلك؟ هل أحيا نفسه؟ فإذا أحيا نفسه فهو لم يمت؛ لأن الميت لا يحيى نفسه، وإن كان أحياه من الموت غيره فهذا الذى أحيا الإله أولى بالألوهية.

---

(١) النصيحة الإيمانية ص ٣٣ - رسالة الحسن ص ٣٥٧.
(٢) تحفة الاريب ص ١٢٣.
(٣) رسالة الحسن ص ٣٢٤ النصيحة الإيمانية ص ١٩٢.

(٢) الاستدلال بحقائق الواقع المشاهد :

الحواس الانسانية كالعين واللمس تنقل المعارف للانسان بل هى أقوى أنواع نقل المعرفة، وقد استخدمها المهتدون فى أدلتهم، فالنصارى يشبهون إيمانهم بالثالوث « الآب والابن والروح القدس » وأن الثلاثة واحد بالشمس، ونورها، وحرها . فالثلاثة أيضاً فى نظرهم واحد، وهو ما أنكره الحسن بن أيوب؛ لأنه ببساطه تعريف الشمس يختلف عن تعريف نور الشمس وحرارتها . فالشمس تعرف بأنها جسم مستدير مضئ مسخن دائر وسط الأفلاك دورانا دائما[١] . ولا يعرف نور الشمس بهذا التعريف ولا حرارة الشمس . وإذا اختلف التعريف اختلف المعرف .

(٣) الاكتفاء بعرض كلام الخصم لظهور فساده :

رغم أن شبه المخالفين للإسلام ظاهرة الفساد، فإن المسلم يضطر لمناقشتها طالما أن خصمه يتمسك بها، ولكن هذا لا يمنع أن يلجأ المهتدى لعرض كلام علماء أهل الكتاب دون نقضه، مكتفياً بأثر هذا الكلام على المتلقى؛ فالنصارى يعظمون رجلاً مثل غريغوريوس، ويقولون إنه يتكلم بروح القدس، وهو القائل عن المسيح « إن الذى لا يتالم ولا يضطجع صار مضطجعاً، والذى لا يحس صار محسوساً، والذى لا يحد صار محدوداً، وصار الخالق مخلوقاً »[٢] ولم يعلق الطبيب نصر على هذا الكلام؛ لانه يرى أن العرض يكفى عن النقض .

(٤) الاستدلال بتقسيم الكلام على المخالف :

وفى هذا النوع يذكر المجادل كل معطيات كلام الخصم، وينقضها جميعاً فلا يبق للخصم ما يتمسك به . وقد استخدم المهتدون هذه الطريقة فى نفى إلهية المسيح وصلبه، فيقول نصر بن يحيى : « فإن قلتم إن المصلوب هو الله عز وجل، فمريم – على قولكم – ولدت الله .... وإن قلتم : ولدت إنسانا، فإن

---

(١) يلاحظ أن العلم فى ذلك الوقت كان يرى الشمس تدور .
(٢) النصيحة الإيمانية ص ٨٧ .

المقتول المصلوب هو إنسان، ففى ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم، فاختاروا أى القولين شئتم ففيه نقض دينكم»[١]. أما عبد الله الترجمان فأولى شريعة الايمان اهتمامه واستدل منها على أن المسيح انسان لأن هذه الشريعة تقول إن الله خالق ما يرى، وما لا يرى ولا ريب أن المسيح مما يرى فالله خلقه[٢].

(٥) الاستدلال بما يشبه دليل التمانع :

من المعلوم أن تعدد الآلهة فى الكون باطل؛ لأنه عندما يختلفون فالإله الذى تتحق إرادته هو الإله وغيره ليس بإله. وقد استدل نصر الطبيب بما هو قريب من ذلك، فالنصارى يقولون إن الأقانيم الثلاثة آلهة قديمة، وإذا كان الأب والابن والروح القدس آلهة متساويه؛ لأنهم يقولون الاب إله والابن إله، والروح القدس إله وهم متساوون فى العلم والحكمة والقدرة، وإذا كانوا متساوين فى ذلك فيكفى واحد منهم فقط لإدراة الكون، والباقى زيادة لا حاجة إليها، وإن كان أحدهم أفضل من الاثنين الآخرين فهو الإله فقط[٣].

(٦) الاستدلال بقرائن الخبر :

وجد المهتدون فى سيرة المسيح عليه السلام أفعالاً ظهرت منه يصعب خفاؤها أو تجاهلها من قبل كتاب الإنجيل، فإذا ذكر يوحنا أن المسيح غسل أقدام تلاميذه، فإن هذا الحدث قد حصل فى وجود الحواريين[٤]، ولا يكون مستوراً عن أحدهم دون الآخر، بل يتسامع به الجميع، ويخبر الشاهد الغائب، ومع ذلك فإن هذا الحدث العظيم لم يذكره متى أو مرقس أو لوقا، وهذا يدل على أحد أمرين: إما أنهم غاب عنهم الكثير من أفعال المسيح – أو تشككوا فى رواية يوحنا وفى هذا طعن فى يوحنا نفسه ومثل هذا يقال عن الكثير من الأفعال

---

(١) النصيحة الإيمانية ص ٦٧ : ٦٩ .
(٢) تحفة الاريب ٩٩ .
(٣) النصيحة الإيمانية ص ٦٣، ٦٤ .
(٤) النصيحة الإيمانية ص ٨٤ .

المنسوبة للمسيح، ويرويها أحد الحواريين دون الباقين، وتكمن خطورة هذا التجاهل إذا كان الخبر عقائديا مثل صعود المسيح إلى السماء.

وكذب عبد الله الترجمان قصة مولد المسيح الواردة بإنجيل متى، وما جاء بها من أن ثلاثة نفر من المجوس جاؤوا ليروا المسيح ومعهم هدية له، وحين علم الملك هيرودس بذلك خاف وجمع علماء اليهود، فأخبروه بأن أنبياء بنى إسرائيل، ذكروا مولد المسيح ببيت المقدس فى بيت لحم فى هذه الأيام وحينئذ طلب هيرودس من المجوس الثلاثة أن يتحققوا من المولود، ويخبروه حتى يعظمه مثلهم، وكان هذا مكراً وخديعة منه؛ لأنه كان عازماً على قتله، ولكن الله كما جاء فى الرواية – بعث ملكا إلى مريم فأخبرها بمكر هيرودس وطلب منها الفرار بوليدها إلى مصر.

وكانت القرائن التى دفعت الترجمان لتكذيب القصة هى أن لو قاومرقس ويوحنا لم يذكروا شيئا من هذا فى أناجيلهم، ومتى لم يكن حاضراً ساعة الولادة بل نقل هذا عن كذاب، كما أن بيت لحم يبعد عن بيت المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك فعلا خائفاً من هذا المولود لسار بنفسه مع المجوس لأنهم ثلاثة فقط، أو على الأقل كان يبعث معهم من يثق فيه للبحث عن المولود[1].

وفى المقابل أولى المهتدون عناية خاصة بصفات النبى محمد ﷺ وصحابته، وهى صفات تثبت له النبوة، فجمع على بن ربن الطبرى عشر صفات تدل على صدق نبوته «ليعلم الناظر فيه أن من كن معه ووجدن له وجبت له النبوة، ولزمت حجة الله البالغة على من كفر به»[2].

وهذه المعانى العشرة هى:

١ – دعاء النبى إلى وحدانية الله العادل، الذى لا يغلب.

٢ – كان النبى عفيفاً وصادقاً، وسيرته محمودة.

---

(١) تحفة الأريب ص ٦١.

(٢) الدين والدولة ص ٤٧.

٣ – ظهر من النبى آيات ومعجزات لا يأتى بها إلا الأنبياء.

٤ – تنبأ عن أشياء غائبة عنه فحصلت كما تنبأ فى حياته.

٥ – تنبأ عن أمور ستحصل بعد موته فحصلت كما أخبر تماماً.

٦ – أنزل عليه كتاب آية من آيات النبوة، ودليل لا يمكن دفعه.

٧ – هزيمته للأمم واضحة بالضرورة، والحجج فى ذلك واضحة.

٨ – الذين نقلوا أخباره من خيار الناس وأبرارهم، ولا يظن بمثلهم الكذب.

٩ – تنبأ الأنبياء عنه قبل ظهوره بزمن طويل.

١٠ – أنه كان خاتم الأنبياء، ولو لم يبعث لبطلت بشارات الأنبياء؛ لأنهم أخبروا عنه[١].

(٧) الاستدلال بالاستفهام التقريرى أو الإنكارى:

الاستفهام التقريرى هو الاستفهام عن المقدمات البينة المشهورة، التى لا يمكن أن يجحدها المخالف؛ ومن ثم فهى تقرير للخصم بالحق، ومن أمثلته فى القرآن قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١] أما الاستفهام الإنكارى فهو أن يستنكر السائل الدعوى المذكورة فى السؤال كقوله تعالى عن الذين ينكرون وجود الله: «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ».

وقد استخدم المهتدون هاتين الطريقتين كثيراً، ففى تفنيدهم لدعوى أن المسيح جلس عن يمين الآب بعد صعوده سألهم الحسن بن أيوب: «والجالس عن يمين صاحبه أليس هو منفصلا عنه، مفروزاً عنه؟[٢]» ويقصد من ذلك أنه إذا كان المسيح جالساً عن يمين أبيه فلا يمكن أن يكون الاثنان واحدا؛ لأن الشئ لا يوصف بأنه عن يمين نفسه، ويكون فى نفس الوقت هو هو نفسه وحين أراد

---

(١) الدين والدولة ص ٤٧.

(٢) رسالة الحسن ص ٣٥٢.

الترجمان أن يبين عدم صحة ما يقوله النصارى بأن من لم يتغطس دخل جهنم فإنه أدار الحوار التالى:

«ما تقولون فى إبراهيم، وموسى، وإسحاق، ويعقوب، وجميع الأنبياء عليهم السلام - هل هم فى الجنة أم لا؟

فلابد أن يقولوا هم فى الجنة.

فيقال لهم: كيف دخلوها ولم يتغطسوا؟

وهم يجيبون عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس.

فيقال لهم: ما تقولون فى آدم ونوح - عليهما السلام - وذريته لصلبه فإنهم ما اختتنوا، ولا تغطسوا قط قط، وهم فى الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم، وليس لهم عن هذا جواب ألبتة»[1].

وقد استخدم السموأل هذه الطريقة فى تفنيد دعوى اليهود العنصرية بأنهم شعب الله المختار، وأن الله لا يختار الأنبياء إلا منهم، فسألهم السموأل: «ما قولكم فى أيوب النبى عليه السلام، أتقرون بنبوته؟

فيقولون نعم.

فنقول لهم: هل هو من بنى إسرائيل؟

فيقولون: لا[2]»

وبذلك يكون السموأل قد جعل اليهود يقرون بأن الله تعالى اختار الأنبياء من غير طائفتهم، وبنفس الطريقة جعلهم يقرون بأن الله يكره كفرهم[3].

(٨) رد الباطل بالباطل:

يقصد المجادل من هذه الطريقة أن يثبت للخصم أن المقدمات التى يتمسك بها وتجعله يعتقد اعتقادات خاطئة، بنفس هذه المقدمات نصل إلى نتائج فاسدة

---

(١) تحفة الأريب ص ٧٤.

(٢) بذل المجهود ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) بذل المجهود ص ١٢٢، ١٢٣.

لا يقول بها الخصم نفسه. وقد استخدم المهتدون هذه الطريقة كثيراً حين تعرضوا لتفنيد ألوهية المسيح - عليه السلام - فمن أقوى أدلة النصارى على ألوهية المسيح أنه أحيا الموتى، وهنا عارضهم الترجمان بأن غير المسيح قام بهذه المعجزة وأكثر منها، مثل إليسع الذى أحيا ميتاً فى حياته، وبعد وفاته[1]، فليقولوا بإلهية اليسع كذلك.

وحين تعلق النصارى بولادة المسيح من أنثى بلا ذكر، رأى المهتدون أنه إذا كان فى هذا عجباً، فالأعجب منه خلق حواء من ذكر بلا أنثى، والأغرب من كل ذلك خلق آدم من غير أب ولا أم[2].

وكذلك النصوص الإنجيلية المذكور فيها عن المسيح لفظ النبوة أثبت المهتدون أن هذا اللفظ أضيف لغير المسيح، وعلق على ذلك الحسن بن أيوب «فإن زعمتم أن المسيح استحق الإلهية بأن الله سماه ابنا فنلتزم ذلك، ونشهد بالإلهية لكل من سماه الله ابنا، وإلا فما الفرق؟[3]»

(٩) إظهار تناقض الأقوال:

لم يقف التناقض فى العقيدة عند حد التعارض بين الطوائف والملل المختلفة، بل كذلك فيما هو متفق عليه بينهم، فحين تذكر الشريعة النصرانية أن الله صانع كل شئ مما يرى ومما لا يرى، فهم بذلك اعترفوا بأن المسيح مخلوق مصنوع لأنه شئ من الأشياء التى ترى، ثم عادوا وقالوا إنه ليس بمصنوع[4].

وقد رأى الحسن بن أيوب أنه لو عرض دين النصارى على قوم ليس لهم دين لرفضوا الدخول فيه؛ لعدم اتفاق اتباعه على رأى[5].

---

(١) تحفة الاريب ص ٨٤.

(٢) رسالة الحسن ص ٣٤٢، النصيحة الإيمانية ص ١٢٣، تحفة الأريب ص ٨٤.

(٣) رسالة الحسن ص ٣٣٨.

(٤) النصيحة الإيمانية ص ٧٠.

(٥) رسلة الحسن ص ٤.

(١٠) الاستدلال بما يؤمنون به :

ناقش المهتدون العقيدة النصرانية، التى يطلق عليها « سر الاعتراف » حيث يذهب النصرانى إلى القسيس، ويعترف بذنوبه، ويغفرها له القسيس وقد أنكر المهتدون هذه العقيدة من واقع ما يقوله النصارى أنفسهم من أن :

١ – تلاميذ المسيح أنفسهم لم يعترفوا له بذنوبهم، وهو كما يعتقد النصارى الله أو ابن الله؛ ومن ثم فهو الأحق بمغفرة الذنوب والخطايا من القساوسة[١].

٢ – القسيس باعتراف النصارى بشر يخطئ، وقد تكون ذنوبه أكثر من ذنوب من يذهب إليه للاعتراف، فمن هو الذى يغفر ذنوب القسيس؟ [٢].

وإذا ادعى النصارى أن المسيح هو المتكفل بغفران ذنوب أحبارهم وقساوستهم، فهذا يوقعهم فى مأزق إذ كيف يخولون للقساوسة الحق فى غفران خطاياهم، والقساوسه أنفسهم فى حاجة إلى من يغفر لهم ذنوبهم؟ .

وبعد دراستنا لأهم الطرق التى استخدمها المهتدون من أعلام اليهود، والنصارى؛ لبيان دوافع هدايتهم فإنها كانت ذات أهمية كبرى فى علم مقارنة الأديان، وهو ما نتناوله فى الفصل التالى .

* * *

(١) تحفة الاريب ص ٩٢ .
(٢) تحفة الاريب ص ٩٢ .

الفصل الثالث
القيمة العلمية لمؤلفات المهتدين

لمؤلفات المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب قيمة علميه مميزة فى تاريخ الأديان، وتستمد هذه القيمة تميزها من أنهم كانوا علماء فى دياناتهم السابقة لإسلامهم. فإذا كان الغزالى يطلب لمن يتعرض لعقائد الفرق، والأديان غير الإسلامية أن يدرس عقائدها من مصادرها، ويتوغل فى هذه الدراسة حتى يساوى العالم المسلم أعلم علماء الفرق، أو الملل المخالفة، بل يتفوق عليهم، ويجاوز درجتهم[١] باطلاعه على ما لم يطلع عليه أصحاب هذه الملل، وتلك الفرق، وهى مهمة صعبة، وتزداد صعوبتها إذا كانت الديانه المدروسة موغلة فى الغموض، لدرجة عدم فهمها حتى من أتباعها، ونضرب بذلك مثلا من الجاحظ الذى يقول: «ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح، لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم فى الإلهية، وكيف تقدر على ذلك، وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى؛ فسألته عن قولهم فى المسيح، لقال قولاً، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه. وهو نسطورى مثله فسألته عن قولهم فى المسيح؛ لأتاك بخلاف قول أخيه وضده . وكذلك جميع الملكانية واليعاقبة، ولذلك صرنا لا نعرف حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان»[٢]. ولقد ذكر العلماء أنه لو اجتمع عشرة من النصارى؛ لبيان حقيقة ما هم عليه لتفرقوا إلى أحد عشر مذهبا[٣] وترجع هذه الصعوبة لكون هذه المذاهب مبنية على أصول غير معقولة، وعبارات لا تتحصل معانيها[٤]. وهذه الصعوبة التى اشتكى منها جها بذة الإسلام كانت سهله ميسرة بالنسبة

---

(١) المنقذ من الضلال: الغزالى – مكتبة الانجلوط ٤ص ٤٥.
(٢) الرد على النصارى: الجاحظ – دار الصحوة ط١: ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٤م ص ٩٥.
(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: المكتبة القيمية ص ١٩٨.
(٤) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ٥ ص ٨١.

لعلماء النصرانية الذين أنار الله قلوبهم بالإسلام، وحتى علماء اليهودية كانوا أقدر على فهم الديانة اليهودية؛ وقد مارس هؤلاء العلماء شعائر هاتين الديانتين، وأعدوا إعدادا خاصاً للدفاع عنها، وسبق أن ذكرنا أن نصر بن يحيى شارك فى الشعائر النصرانية ، كما أن المطلع على حياة عبد الله الترجمان يجده نشأ منذ نعومة أظفاره نشأة علمية متميزة انتهت بهدايته على يد شيخ مهتد[1]. وهذا يدفعنا لمحاولة التعرف على أهم الإضافات العلمية لمؤلفات المهتدين.

أهم الإضافات العلمية لمؤلفات المهتدين

مما لا ريب فيه أن كتابات المهتدين تحمل فى طياتها تغييراً لمواقف سابقة، وشهادة على صحة العقيده الإسلامية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف :٢٦] وقد أضافت مؤلفاتهم إضافات علمية جليلة من أهمها:

١ - الكشف عن مصادر انحراف الفكر :

سلطت كتابات المهتدين الضوء على مصادر انحراف العقل لدى أهل الكتاب، فكان من أهم أسباب هذا الانحراف هو ما يمكن أن نطلق عليه الاتكالية

---

(١) ذكر عبد الله الترجمان - أنسلم تورميد قبل الإسلام - أنه لما بلغ ست سنين أرسله والده إلى معلم من القسيسين، وحفظ الترجمان على هذا القسيس، أكثر من شطر الإنجيل فى مده ست سنين، ثم تعلم لغة الإنجيل - اليونانية وعلم المنطق فى مدة ست سنين أخرى، ثم ارتحل من ميورقه بلده إلى مدينة لارده باسبانيا ، وهى مدينة العلم فى عصره، فدرس بها علمى الطب والنجامة لمدة ست سنين، وتصدر لقراءة الإنجيل ولغته لأربع سنين أخرى، ثم ارتحل إلى مدينة بانوليه، ولازم بها قسيسا كبير السن والقدر يدعى نقلاد مرتيل، ولا شك أن صحبته لهذا القسيس كانت فاتحة خيرله؛ حيث تسببت فى هدايته، كما أن العلوم التى درسها ساعدت فى صقل شخصيته، فيذكر الدكتور محمود حماية أن الترجمان تعلم عده لغات منها: الاسبانية والإيطالية، والفرنسية، واليونانية بالإضافة لمعرفته باللغة العربية وسبق أن أشرنا إلى قصة حاكم المسلمين ويدعى السلطان أبو العباس أحمد الحفصى مع الترجمان، وكان أبو العباس يسأل أحبار النصارى وتجارهم عن مكانة عبد الله الترجمان، فذكروا أنه يتبوأ مكانا عليا بينهم، فليس فيهم أعلى منه درجة فى العلم والدين، وهذا مما هو متواتر فيما بينهم.

وحتى القسيس الذى نصب نفسه لزعزعة اعتقاد الترجمان كان مما كتبه « وأنا أعلم أنك تعلم من هذا كله ما لا أعلم »، وختم رسالته قائلاً « ومثلك لا يحتاج إلى معلم والسلام ».

الفكرية، وهذه الحقيقة يقول عنها الطبيب نصر « ليس لاعتقادهم أصل يعول عليه، ولا برهان يستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون »[1] واستدل نصر بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٧٠]. ويؤكد ذلك نصر بقوله عن المسيح « وما رضيتم قوله فى نفسه، ولا قول جموعه لمن سألهم عنه من مخالفيهم، ولا ما ثبت في إنجيلكم الذى هو إمامكم، فتركتم ذلك كله، وأخذتم بآراء قوم من رؤسائكم تأولوا لكم مع علمكم بأنهم اختلفوا فى الرأى »[2].

وتوسعت الفكرة لدى ابن ربن الطبرى لتشمل جميع أهل الملل المخالفة للإسلام « وإنى وجدت من خالف الإسلام، إنما خالفوه لأربع علل، أو لا الشك فى خبر النبى ﷺ– والثانية الأنفة والعزة، والثالثة التقليد والإلف، والرابعة البلادة والغباوة »[3].

٢ – مؤلفات المهتدين تكميلية لمؤلفات المسلمين:

كانت كتابات المهتدين تكمل النقص الذى قد يعترى مؤلفات المسلمين فى هذا المجال، فكان بعض النقد الذى وجهه علماء المسلمين لأهل الكتاب غير مفهوم لديهم فيقول السموأل: « على أن الأئمة ضوعف ثوابهم – قد انتدبوا لذلك، وسلكوا فى مناظرتهم اليهود أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به لا يكاد يفهمونه، أو لا يلتزمونه »[4]. وللأمانة العلمية فإن مؤلفات المسلمين كانت فى مجموعها واضحة وملزمة ليس فقط لأهل الكتاب بل لكل عقل سليم.

٣ – المهتدون أكدوا اتفاق التراث مع العلم:

كانت كتابات المهتدين سباقة للمعارف العلمية الحديثة فى نتائجها، فإذا

(١) النصيحة الإيمانية ص ٣٢.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ١٣٠، ١٣١.
(٣) الدين والدولة ص ٣٦.
(٤) بذل المجهود ص ٢٠.

نظرنا مثلاً لنسب المسيح الذى أشار إليه معظم المهتدين، وغيرهم من المسلمين، وحاولنا مقارنة ما توصل إليه هؤلاء العلماء بما توصل إليه موريس بوكاى – أحد المستشرقين المعاصرين المهتدين حديثا – فإننا نرى أن كلاً من ابن أيوب ونصر ابن يحى قد استدلا بأن ذكر آباء للمسيح فى إنجيل متى لهو دليل قاطع على أنه ليس إلهاً أو ابناً لله[1] خاصة ان النص الانجيلى استعمل لفظ « ولادة ».

أما نصر فقد أشار إلى اختلاف نسب المسيح بين كل من متى ولوقا، وهذا ما أكده العلماء حديثا، فنجد موريس بوكاى تعرض لنفس مشكلة النسب وقال: « تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية، وبالاتفاق مع المعطيات العلمية، ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالصحة، وهى مشاكل تحرج جداً المعلقين المسيحيين، فهم يرفضون أن يروا منها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنسانى »[2].

وذكر المؤلف شجرة نسب المسيح عند متى، وقبل أن يذكرها عند لوقا علق قائلاً « أما لوقا » ٣، ٢٣ – ٢٨ « فإنه يعطى المسيح نسباً يختلف عن ذلك فى إنجيل متى »[3]. وكان نقل موريس بوكاى لنسب المسيح من إنجيل لوقا يثبت واضحاً اختلاف النسب بين متى ولوقا.

(٤) كتابات المهتدين لها أهمية تاريخية :

لكتابات المهتدين أهمية تاريخية توثيقية؛ حيث إن نقلهم لعقائد أهل الكتاب، ولنصوص كتبهم التى يقدسونها، جعل من مؤلفات هؤلاء العلماء وثائق تفيد فى معرفة تطور هذه العقائد، وأصولها الدينية المعتمدة عليها، وهى أيضاً إنعاش لحركة الصراع الجدلى – إن صح التعبير – بين الأديان الثلاثة؛ حيث كانت مؤلفاتهم موجهة إما للدعوى، أو لإثبات صحة رأى أو نفى شبهة كما أن

---

(١) رسالة الحسن ص ٣٥٧ – تحفة الأريب ص ١٠١.

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاى – دار المعارف ص ١٠٥.

(٣) دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٥.

نقل المهتدين لنصوص توراتية أو إنجيلية قد لا نجدها بنفس صورتها الحالية تكشف عما أصاب هذه النصوص من تحريف. ومثال ذلك ما ذكره سعيد بن الحسن الإسكندراني من نص توراتي اختفى حالياً جاء فيه أن الله سبحانه أعلم موسى: «بأن آدم لما كان في الجنة، كان يتكلم باللسان العربي فلما أهبط به، نسي اللسان العربي، وتكلم بالسرياني، فحزن حزناً شديداً على فقده اللسان العربي، فأوحى الله: يا آدم لا تحزن فإن هذا لسان أهل الجنة في الجنة، سيكون من ذريتك من يتكلم به، ويكونون في الجنة أو أهل الجنة»[1]. وبمراجعة التوراه لم نجد هذا النص بسفر التكوين كما أشار سعيد، ولا بعبارة من أسفار التوراه. ومما يؤكد أصالة هذا النص، ومصداقية وجود بأسفار التوراه القديمة أن سعيداً كان يستخرج هذه النصوص عن طريق النقل المباشر من النسخ العبرانية، والسريانية للكتاب كما يذكر سعيد: «إعلم أن جميع ما وضعته في هذا المختصر: هو ما جاء في التوراة، وصحف الأنبياء، لكني جمعته، ورتبته، واستخرجته من اللغات العبرانية، والسريانية إلى اللسان العربي المبين...»[2].

وقديما ذكر ابن تيمية أنه رأى نسخاً من الزبور فيها التصريح بنبوة سيدنا محمد ونسخاً أخرى من الزبور أيضاً ليس فيها هذا التصريح، واستنتج من ذلك بأن بعض نسخ هذه الكتب فيها من البشارة بالنبي ما ليس في النسخ الأخرى لنفس الكتب[3].

وإذا أردنا أن نتلمس استمرارية حركة التحريف للتوراة والإنجيل في عصرنا الحديث نجد العلامة أحمد ديدات أثناء مناظرته الشهيرة للقس جمس سواجارت أخرج نسختين متشابهتين تماما في الحجم وشكل الغلاف، كما أنهما من طباعة نفس الناشرين، مما يجعل العين المجردة لا تستطيع التفرقة بينهما، وكأنهما توأمان، ومع ذلك فإن النسخة الأقدم منهما قد حذفت منها حادثة الصعود.

---

(١) مسالك النظر ص ٤٤.
(٢) مسالك النظر ص ٨١.
(٣) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٧.

صعود المسيح إلى السماء – أما النسخة المتأخرة فقد أعيد الصعود مرة أخرى[١]، وكأننا أمام فيلم تحذف بعض مشاهده ثم تعاد ثانية. مما جعل أحمد ديدات يتعجب من تضافر كل الأناجيل على ذكر ركوب المسيح حماراً، في الوقت الذى تهمل فيه مسألة عقائدية مهمة كصعود المسيح إلى السماء ثم تكتب ثانية[٢].

(٥) كتابات المهتدين تكشف حيل الرهبان :

يعوّل أهل الكتاب كثيراً على المعجزات لإثبات صحة عقائدهم، ويحاولون إثبات الكرامات لأحبارهم كدليل على تأييد عقائدهم، وقد كشف أعلام المسلمين كثيراً من خدعهم التى استخدمت لتضليل العوام.

ومن هذه الحيل وضعهم أصناماً من الحديد، والقناديل، والصلبان تكون معلقة فى الهواء بلا حامل، فيظن العوام أن ذلك من بركة الكنيسة التى يوجد بها هذه الصلبان. والحق أن سبب ذلك هو قانون المغناطيسية، حيث يضع أحبار النصارى حجارة مغناطيسية فوق الصليب وحوله بالإضافة للجاذبية الأرضية فتجذب هذه المغناطيسات الصليب من كل جهة فيتعلق الصليب فى الهواء. ولذلك حين هدمت المبانى التى حول الصليب وسقطت المغناطيسات وقع الصليب[٣].

ومن تلك الحيل أيضا ما كشف عنه المهتدى عبد الله الترجمان حيلة مرتبطة بطقس عقائدى وهى عميلة التغطيس التى لها أهمية كبرى فى العقيدة النصرانية؛ حيث يقرئ القس المتنصر عقائد المسيحية، ثم يأخذ إناء مملوء ماء ويسكبه على المتنصر.

والغريب فى الأمر هو أن الماء الموجود بأحواض الكنائس لممارسة هذه الشعيرة قد يظل أعواما من غير أن ينتن أو يتغير ، فيظن الناس أن ذلك من بركة

---

(١) المناظرة الحديثة بين الشيخ ديدات والقس جمس سواجارت مكتبة الزهراء ص ١٣٨ .
(٢) المناظرة الحديثة ص ١٣٩ .
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٦٢، ٦٣ .

القسيس الذى وضع الماء فى الحوض، وبركة الكنيسة «ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان، وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء، والقسيس لا يرمى ملحاً ولا دهن بلسان إلا فى الليل أو فى وقت لا يراه أحد»[١]. واعترف الترجمان بأنه هو نفسه قد مارس هذه الحيلة «وقد كنت فى الجاهلية زمانا فى ذلك الدين صنعت ذلك، وغطست كثيراً من النصارى مراراً...»[٢].

(٦) مؤلفات المهتدين تلقى أضواء على أخطر قضايانا:

كشف السموأل فى إفحامه لليهود النقاب عن طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى، وأنه صراع دينى يهودى بالدرجة الأولى، فهم يرددون فى صلواتهم «اللهم اضرب بطوق عظيم لعنقنا، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قوم بنى إسرائيل»[٣].

كما يدعو اليهود يومياً أن يعيد الله إليهم أورشليم (القدس)، وبلغ من تعلق اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد التى من النيل إلى الفرات أنهم يعتقدون أن الله تعالى سيظل خاملاً لا يذكره أحد ما لم تقم دولة إسرائيل، وأن المسيح المنتظر سوف يجمعهم بالقدس.

ويبدو أنه حين لم يظهر المسيح المنتظر وطال انتظارهم بلا فائدة قرروا أن يحتلوا فلسطين دون انتظار لعودة المسيح. مع العلم أنه ما زالت توجد أقلية يهودية ترفض قيام دولة إسرائيل لعدم مجىء المسيح حتى الآن، ويعتبرون أنفسهم اليهود الحقيقيين.

(٧) كتابات المهتدين تكشف حقد اليهود:

رغم روح التسامح الدينى، التى كان يحياها اليهود بين المسلمين فإن ذلك ما زادهم إلا حقداً على الإسلام. ولقد كشف المهتدون من واقع معايشتهم السابقة لأهل دينهم السابق خبايا مايكنه اليهود خصوصاً من حقد للإسلام،

---

(١) تحفة الأريب ص ٧٦. (٢) تحفة الأريب ص ٧٦.
(٣) بذل المجهود ص ٢٧.

والنبى، وما يتداولون فى مجالسهم الخاصة من سخرية للرسول ﷺ حتى أنهم يسمونه إسمين أحدهما «فاسور» وتفسيره الساقط، والثانى «موشكاع» ومعناه المجنون، وأما القرآن الكريم فيسمى فيما بينهم باسم «قالون» وهو اسم للسوأة عندهم، فيقصدون بذلك أنه عورة المسلمين وسوأتهم[١]. والحق أننى ترددت كثيراً فى نقل هذه السفالات التى كشفها لنا السموأل ، وارتعشت يدى وهى تخطه، ولكن كان حرصى على إظهار طبيعة العداوة، التى يكنها اليهود للإسلام فى هذه المرحلة المصيريه المهمة، التى تعيشها أمتناهى التى دفعتنى لكتابة ما سبق، خاصة أن القرآن روى كذبهم على الله بأن يده مغلولة، وأنه فقير فى حاجة إلى عباده تعالى الله عما يفترون، كما أن ما ذكره السموأل كان يدور بين اليهود فى صورة سرية أما اليوم نظراً لضعف المسلمين أصبح اليهود لا يخفون حقدهم حتى أنه رسمت فتاة يهودية صورة خنزير وكتبت عليها إسم النبى علنا بلا أدنى خوف.

(٨) كتابات المهتدين تشهد بتسامح المسلمين:

لا ريب أن الإسلام نظم علاقة المسلمين بأهل الكتاب، وحث على معاملتهم معاملة حسنة، وقد برهنت كتابات المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب على هذه الحقيقة، التى لم يلقاها الكتابيون فى دياناتهم نفسها، فيذكر الطبيب نصران التعصب الطائفى بين النصارى بلغ ذروته حتى أنهم يستجيزون قتل بعض لخلافهم فى العقيدة[٢] وفى المقابل يروى على بن ربن أن عمر بن الخطاب كان يحمل الدقيق بنفسه لشيخ نصرانى ، وخصص له راتبا شهريا ثابتا [٣].

وهاك السموأل حين أخذ يذكر الأمم، التى تناولت اليهود بالإذلال، والتقتيل كالكلدانيين والبابليين والفرس ، واليونان، والنصارى، نراه قد استثنى المسلمين الذين أقروا أهل الذمة على دياناتهم [٤]. وفى مقابل ذلك يكشف

---

(١) بذل المجهود ص ٥٢.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ١١٧.
(٣) الدين والدولة ص ١١٧.
(٤) بذل المجهود ص ٤٦، ٤٧.

السموأل عنصرية اليهود حتى أنهم يحرمون على أنفسهم في كتبهم- كالمشنا والتوراة. مؤاكلة طعام الأمم غير اليهودية وهي أمور إذا ما قورنت بالإسلام لأظهرت سماحته فالإسلام أباح طعام اليهود والنصارى ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]

كتابات المهتدين بين التأثير والتأثر

أولى علماء المسلمين مؤلفات المهتدين عناية فائقة، حتى أنهم استوعبوها، وأفادوا منها، وتأثروا بها، كما أن المهتدين تأثروا بالتراث الإسلامي، وتأثروا ببعض.

تأثر المسلمين بما كتبه المهتدون:

بلغ من اهتمام علماء المسلمين بما كتبه المهتدون أنهم ضمنوا كتبهم كثيراً مما كتبه علماء المهتدين، حتى أن رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه على بن أيوب نقلها كاملة ابن تيمية في الجواب الصحيح، وقد علل ابن تيمية سبب نقله هذه الرسالة بأنه رأى أن أعلم الناس بمبادئ النصرانية، من كان من علماء هذه الديانة وأسلم على بصيرة، ومن ثم فنقله لقولهم أصح من نقل غيره[1].

وكان لإفحام السموأل لليهود أعظم الأثر على علماء المسلمين، فنجد القرافي (ت ٦٨٤هـ) نقل كثيراً مما كتبه السموأل خاصة فيما يتعلق بأسباب تحريف التوراة، وانقطاع سند التوراه؛ حيث نقل القرافي عن السموأل ما رآه من أن سبب ضياع سند التوراه كثرة الأمم التي طلبت استئصال اليهود وإحراقهم؛ حتى أن «الفرس كثيراً ما منعوهم عن الختان، وكثيرا ما منعوهم عن الصلاة؛ لمعرفتهم أن معظم صلوات هذه الطائفة دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان. فلما رأت اليهود الجد من الفرس

---

(١) الجواب الصحيح جـ٣ ص ٤.

فى منعهم عن الصلاة اخترعوا أدعية زعموا أنها فصول من صلاتهم وسموها الخزانة، وصاغوا لها ألحانا.... »[١].

والعجيب كما يذكر السموأل أن المسلمين حين سمحوا لليهود بممارسة شعائرهم صارت الخزانة من الأمور المستحبة يجعلونها عوضاً عن الصلاة.

ويأتى القرافى بعد قرابة القرن من الزمن لينقل نفس كلام السموأل السابق وأشياء أخرى يضيق المقام عن تتبعها. وإن كنا نشير إلى تاثر ابن قيم الجوزية بالسموأل أيضا والنقل عنه.

وكذلك استدل الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه «إظهار الحق» بأجزاء من «الرسالة الهادية» وهى لأحد أحبار اليهود وتسمى بعبد السلام.

بقى أن نشير إلى أن إفادة أعلام المسلمين من المهتدين، لم يقف عند حد الاطلاع على مؤلفاتهم، بل أيضا بالسماع منهم، حتى أن ابن تيمية ذكر أنه أصبح يعرف كثيراً من اللغة العبرية عن طريق سماعه لألفاظ التوراة العبرية من مسلمة أهل الكتاب[٢]. ونقرأ نفس الشىء عند ابن قيم الجوزيه من أنه كان يسمع من علماء أهل الكتاب. فالتأثير العلمى كان متبادلا بين المهتدين وأعلام الفكر الإسلامى؛ حيث إن المهتدين قد أسهموا فى تكوين التراث الإسلامى كما أفادوا منه.

تأثر المهتدين بالتراث :

كشفت مؤلفات المهتدين مدى اتساع ثقافتهم وإلمامهم بالأديان الثلاثة حتى أنهم كانوا يذكرون نصا إنجيليا وآخر قرآنيا، كما كانوا على علم بسيرة الرسول ﷺ، وصحابته، وحتى الأدب العربى، فنقل نصر الطبيب أبياتا شعريه عن أبى العلاء المعرى يقول فيها:

عجبا للمسيح بين أناس وإلى خير واندنسبوه

---

(١) قارن بذل المجهود ص ٤٢، ٤٤. والأجوبة الفاخرة ص ٢٣٩ : ٢٤١.

(٢) نقض المنطق: ابن تيمية مكتبة السنة ص ٩٢، ١٩٣.

أسلمته إلى اليهود النصارى وأقـروا بـــأنهـم صلبـــوه
فإذا كـان ما تقولـون حقـا ليت شعرى فأين كان أبوه

تأثر المهتدين بما كتبه المهتدون :

من الطبيعى أن تتجه أنظار اللاحق من المهتدين بالسابق منهم، فيقرأ مؤلفاته، ويقف على أسباب هدايته، وهذا ما يتضح حين نقرأ ما كتبه كل من الحسن بن أيوب، ونصر بن يحى حيث نجد تشابها كبيرا بين كتابيهما فى نقل كثير من النصوص التى تصل إلى العديد من الصفحات .

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

(الفصل الثالث)

الموضوع الصفحة

* * *

رقم الإيداع ١٨١٨٤ / ٢٠٠٢